مدينة كومبي صالح
ودورها الحضاري في ضوء تقارير الحفائر الآثارية
من القرن الرابع حتى مطلع القرن السابع للهجرة

دكتور
محمد جاب الله على
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

مقدمة

يواجه الباحث في تاريخ المدن الأفريقية جنوب الصحراء خلال العصر الإسلامي الكثير من الصعوبات إلى أن بدأ عدد من الباحثين طرق هذا الباب بفضل ما توافر من مادة جديدة تمثلت في نتائج الحفائر الآثارية التي أجريت مؤخرًا في عدد من مواقع تلك المدن، خاصة تلك التى لعبت أدوارًا حيوية سياسية كانت أم اقتصادية(١)، والواقع أن هذا الاتجاه بدأ في التنامي بفضل الاتجاه إلى عدد من المصادر غير التقليدية لدراسة التاريخ الأفريقي؛ إذ بدأ المؤرخون في دراستهم للتاريخ الأفريقي في الاعتماد على مصادر جديدة كالتاريخ الشفاهي، والآثار، والفنون، كما اعتمدوا على العديد من العلوم المساعدة مثل الأنثروبولوجيا والديموغرافيا واللغويات(٢).

ويجب أن نعطي قدرًا من الأهمية في هذا المجال لعلم الآثار، ذلك العلم الذي يلعب دورًا حيويًا في رسم تاريخ الفترات القديمة التي لم تكن فيها المجتمعات قد أخذت حظها من التقدم والتعليم مما أدى إلى ندرة المصادر المكتوبة لتاريخها، فالاعتماد على الآثار هنا يرسم صورة واضحة لتلك المجتمعات، بل يعكس ثقافتها ومعتقداتها(٣).

ودراسة تاريخ المدن مرآة تعكس بلا ريب الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أي مملكة أفريقية قامت خلال العصر الإسلامي، **ومدينة كومبي صالح** محل هذه الدراسة كانت أبرز مدينة من مدن مملكة غانة الشهيرة التى ظهرت في القرن ٤هـ/١٠م ككيان سياسى سيطر على مساحة واسعة من الأرض في بلاد السودان الغربي (غربي أفريقيا حالياً)، فكانت كومبي صالح عاصمة تلك المملكة، ومنها وإليها انطلقت القوافل التجارية، حتى أصبحت محط أنظار العلماء وطلاب العلم والتجار.

أما عن **الدراسات السابقة** في هذا الموضوع، فتعد دراسة الدكتور/ **إبراهيم طرخان** بعنوان "**إمبراطورية غانة الإسلامية**" من أهم الدراسات في هذا الموضوع؛ تناول المؤلف من خلالها مملكة غانة منذ نشأتها وحتى سقوطها، غير أن الحديث عن كومبي صالح جاء مجملًا في طي الحديث عن عاصمة مملكة غانة بقسميها الغابة ومدينة كومبي صالح. ورغم الإشارة إلى أعمال الحفائر التي أجريت في موقع المدينة، إلا أنه لم يناقش نتائج تلك الحفائر، كما أُجريت حفائر أخرى بعد تاريخ صدور هذا الكتاب الذي صدر في عام ١٩٧٠.

وتعد دراسة أحمد الشكري بعنوان "الإسلام والمجتمع السوداني: "إمبرطورية مالي ١٢٣٠-1430" من أبرز الدراسات السابقة، إذ خصص المؤلف الفصل الثالث من هذا الكتاب للحديث عن مملكة غانة، فقدم قراءة جيدة لما ورد عنها في المصادر الإسلامية، ولا سيما عند البكري المتوفي عام(٤٨٧هـ/١٠٩٤م) والإدريسى المتوفي عام(٥٦٠هـ/١١٦٤م). واهتم الشكري على نحو كبير في حديثه عن غانة بقضية الغزو المرابطي لمملكة غانة، فانتهى إلى إن هذا الغزو لم يحدث وأن المدينة لم تخرب على أيدي المرابطين.

وتعد دراسة بوفيل بعنوان "تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير"، من الدراسات المهمة، فقد تحدث بوفيل في الفصل الثالث من كتابه عن غانة، وقصر حديثه حول الجوانب الاقتصادية، ورغم حديثه عن مدينة كومبي صالح ودورها في حركة التجارة العابرة للصحراء إلا أنه لم يزد عما ورد حولها في المصادر الإسلامية.

أضف إلى ذلك، مقال للباحث الفرنسي جيان بوليت(Jean Polet) بعنوان لماذا كومبي صالح.

Pourquoi un « cahier Koumbi Saleh, Afrique. Archeologie et Arts 3 (2004-2005).

تحدث فيه عن مملكة واغادو(غانة)، فأشار إلى أنها لاتزال موجودة في الموروث الثقافي الأفريقي لغربي أفريقيا، بل تمثل العصر الذهبي لشعوب المنطقة التى توحدت في كيان سياسي واحد قوي عرف بمملكة غانة. تناول الكاتب أيضًا الجهود التي قام بها علماء الآثار الفرنسيون للكشف عن موقع عاصمة غانة، وقارن بين ما توصلت إليه نتائج الحفائر، وبين التقاليد الشفهية المتناقلة في غربي أفريقيا حول مملكة غانة أو واغادو التي ظهرت في العصر الإسلامي.

كذلك، مقال ريموند موني(Raymond Mauny) بعنوان " قضية غانة"

"The question of Ghana" *Africa,* Vol. 24, No.3, 1954

ويعد موني أحد علماء الآثار الذين أسهموا في البعثات الكشفية التي قصدت موقع كومبي صالح، غير أنه في هذا المقال ابتعد كثيرًا عن نتائج الحفائر الآثارية التي أجريت في موقع كومبي صالح، فأشار بإيجاز إلى الحفائر التي أجريت في الفترة من ١٩١٤ حتى ١٩٥١ دون الخوض في تفاصيل تلك الحفائر. أكد أيضًا أن الباحثين في الآونة الأخيرة صاروا أكثر اهتمامًا بتاريخ غانة، وعرج إلى قضية قلة المادة المصدرية، وأنها تمثل عقبة أمام الباحثين، وبخاصة

في ظل غياب الترجمات الإنجليزية للنصوص المصدرية الإسلامية التي تتناول تاريخ غانة، مستعرضًا ما ورد في تلك المصادر حول السودان الغربي[٤] الذي لم يكن الغرب يعرف عنه شيئًا على الإطلاق. والملاحظ أن الدراسات السابقة لم توظف نتائج الحفائر الأثارية بل أشارت بعضها إلى الحفائر الأثارية وتاريخ إجرائها.

وتأتي **أهمية الموضوع** من أهمية مدينة كومبي صالح نفسها، تلك المدينة الكبيرة التي لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ مملكة غانة سواء كعاصمة للمملكة أم كمركز تجاري كبير قصده التجار من مختلف مناطق شمال وجنوب الصحراء، هذا فضلًا عن توفر تقارير الحفائر الآثارية التي أُجريت في أطلال مدينة كومبي صالح، وما قدمته تلك التقارير من مادة جديدة مكنت الباحث إلى جانب المصادر المكتوبة من رسم صورة واضحة عن المدينة ودورها الحضاري الكبير في بلاد السودان الغربي. وانطلاقًا من ذلك تتناول هذه الدراسة مدينة كومبي صالح عاصمة غانة في ضوء نتائج الحفائر الآثارية التي أُجريت في أطلال تلك المدينة.

أما **الفترة الزمنية** للبحث، فتمتد من القرن الرابع حتى مطلع القرن السابع للهجرة/العاشر حتي الثالث عشر للميلاد، وخلال تلك الفترة بلغت مدينة كومبي صالح أوج ازدهارها الحضاري إلى أن سقطت على أيدي قبائل الصوصو سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م.

أولًا- المجال الجغرافي لمملكة غانة

تقع مملكة غانة في منطقة السودان الغربي، وتمتد أراضيها على مساحة واسعة من الأرض فيما بين نهر السنغال غربًا ومنحنى نهر النيجر شرقًا، وتلامس حدودها الشمالية مواطن بربر الصحراء، وجنوبًا حتي مشارف الغابات الاستوائية[٥]، ولم تكن تلك الحدود ثابتة بشكل دائم، وإنما اتسعت وانكمشت بحسب الأحداث السياسية التي مرت بها المملكة[٦]، فقد مد ملوك غانة حدود دولتهم ناحية الشمال، وبسطوا نفوذهم على أودغست[٧] لنحو نصف قرن من الزمان[٨] أضحت خلاله غانة وأودغست تمثلان أهم محور اقتصادي في السودان الغربي حتي منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[٩]. كما امتدت حدود المملكة كذلك جهة الجنوب لتفرض سيطرتها على بعض مناطق إنتاج الذهب[١٠].

ولكنَّ حدود مملكة غانة تراجعت بعد فترة من الوقت، ففي الشمال واجهت قوة المرابطين الذين مدوا نفوذهم حتى أودغست سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م، وبالتالي انحصرت سيادة ملوك غانة

في تلك المنطقة[١١]، وحدث الأمر نفسه في المناطق الجنوبية؛ حيث تمردت القبائل الجنوبية ولا سيما الصوصو ضد نفوذ ملوك غانة، فخرجت أجزاء من الجنوب من حيز مملكة غانة[١٢].

ويفسر هذا الاتساع والانكماش في حدود المملكة تلك الحدود مترامية الأطراف التي رسمتها الدراسات الحديثة لحدود مملكة غانة، فأشار جوان جوزيف إلى أن حدودها تبدأ من السنغال غربًا وتمتد نحو الشرق حتى الشواطئ الغربية لبحيرة تشاد، ومن الأطراف الشمالية للصحراء الكبرى شمالًا إلى خليج غينيا جنوبًا[١٣]. وهذه حدود واسعة جدًا لا تتوافق مع ما ورد في المصادر الإسلامية.

وعلى هذا الأساس فإن ما أوردته النصوص المصدرية الإسلامية حول تلك المملكة يعد أكثر وضوحًا وتعبيرًا عن حدودها الجغرافية[١٤]. ووردت أول إشارة عن غانة في المصادر الفلكية والجغرافية الإسلامية، فذكرها الفزاري المتوفي عام (١٦١هـ/٧٧٧م) في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وأشار إليها بأرض الذهب[١٥]، ثم ذكرها الخوارزمي المتوفي عام(٢٣٢هـ/٨٤٦م)[١٦]، الذي وضعها ضمن الإقليم الأول من المعمور، وذكرها في موضعين، الأول: عند ذكره لمدن الإقليم الأول، فذكر غانة وكَوكَو، وأما الموضع الثاني عندما تحدث عن العيون والأنهار في ذات الإقليم فذكر عين غانة والنهر الذي يجري منها[١٧].

وتمثل مدينة كومبي صالح أهم مركز تجاري في مملكة غانة، وتقع أطلالها التي أجريت فيها الحفائر الآثارية في أقصى الجنوب الشرقي لدولة موريتانيا الحالية[١٨]، على بعد ٣٠٠ ميل تقريبًا إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت[١٩].

ثانيًا- الحفائر الآثارية في موقع مملكة غانة القديمة

كان موقع مملكة غانة القديمة منذ مطلع القرن العشرين مقصدًا لعدد من الآثاريين الغربيين، وكان الفرنسي دبلاج(Doublage) أول من طرق هذا الباب عام ١٩٠٧، وعثر خلال حفائره على أثار أطلال قديمة وصفها بعاصمة غانة، وبعد مرور سبع سنوات قام بونيل ميزيير(B. Mézières) بحفائر جديدة في المناطق المتاخمة للصحراء الكبرى عام ١٩١٣، بدعم من أكاديمية النقوش والفنون الجميلة (l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres)[٢٠] وأشار بعد انتهاء حفائره إلى أن هذا الموقع هو ذاته الذي زاره ابن حوقل في القرن ٤هـ/١٠م، وهو ذاته الذي حدثنا عنه الجغرافي البكري على أنه عاصمة مملكة غانة القديمة في القرن ٥هـ/١١م[٢١].

وبعد تقارير ميزيير توقفت الحفائر في المنطقة لفترة طويلة إلى أن قام كل من بول توماسي(Paul Thomassy) وريموند موني(Raymond Mauny) عام ١٩٤٩ باستكمال الحفائر في المنطقة، وقد استغرقت حفائرهما نحو عشر سنوات عثرا خلالها على الكثير من الأدلة الآثارية التي تشير إلى قوة مملكة غانة القديمة، وبسطها نفوذها السياسي على مساحة واسعة من الأرض، وثراء المملكة اقتصاديًا، وتطورها صناعيًا من خلال ما عثرا عليه من أدوات دقيقة الصنع، ولاسيما من الحديد(٢٢).

استكملت الحفائر في موقع كومبي صالح عام ١٩٧٢ على أيدي دينيس روبرت(Denise Robert)، وسيرجي روبرت(Serge Robert) وبرنارد سايسون(Bernard Saison)، واستمر عملهم لعدة سنوات في الفترة من ١٩٧٢-١٩٧٦، كشفوا خلالها عن المزيد من المواقع الآثارية في موقع كومبي صالح، كما استكملوا الدراسات حول المواقع التي سبق وكشف عنها موني وتوماسي من قبل(٢٣).

وفضلًا عن ذلك قام برنارد سايسون ورفاقه بدراسة خاصة لموقع مقبرة العمود، تلك التي تقع إلى الشمال الغربي من مركز مدينة كومبي صالح، وتمكنوا من خلال تلك الدراسة من إحصاء نحو مائة وثلاثين قبرًا داخل سور المقبرة بخلاف القبر الرئيس، هذا بخلاف المقابر الأخرى التي كشفوا عنها خارج السور والتي تمتد على مسافات تتراوح بين خمسين مترًا وثلاثة كيلو مترات جنوب المقبرة، وعثر فيها على نحو مائة قبر(٢٤).

واللافت للنظر في أعمال تلك البعثة ما أشار إليه أعضاؤها في تقاريرهم من أن الآثار من المعدن والخرز والزجاج التي ذكر بونيل ميزيير في تقاريره أنه عثر عليها في المقابر التي كشف عنها لم تعد موجودة، وكذلك بعض الآثار التي أشار إليها كل من موني وتوماسي(٢٥).

وبعد مرور نحو ربع قرن قام بيرثير(Bertheir S) بعدة دراسات على اللقى الآثارية المستخرجة من مواقع مدينة كومبي صالح، وقد تركزت دراسات بيرثير على الخزف الذي أُخذ بالأساس من موقع المسجد والمنازل المجاورة له، فقسمه إلى ثلاثة مستويات، تمثل سمات كل مستوي منها مرحلة أو أكثر من عمر مدينة كومبي صالح. فكان أقدمها يمتد من القرن ٥هـ/ ١١م، بينما يؤكد آخرها استمرار ذكر غانة حتى القرن ٩هـ/١٥م(٢٦).

وبعد حوالي عشرة سنوات في عام ٢٠٠٦ عادت كومبي صالح إلى دائرة الضوء لدي علماء الآثار من خلال المبادرة التي أطلقها جان دفُيس(Jean Devisse) تحت شعار العودة

إلى كومبي(Retour à Koumbi)، والتي حاول أن يجند لها فريقًا من شباب علماء الآثار الأفارقة لمواصلة البحث والدراسة في منطقة كومبي صالح[٢٧].

وكانت المحصلة النهائية لعمل كل تلك الفرق البحثية الآثارية في موقع كومبي صالح أن وضعوا تسلسلًا زمنيًا لتاريخ الموقع الذي نشأت فيه مدينة كومبي صالح بداية من القرن الأول الميلادي مرورًا بظهور المدينة وازدهارها الذي بلغ أوجه خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي؛ حيث تطورت المدينة على نحو كبير، وظهر ذلك بوضوح في أثار المباني الحجرية التي عثروا عليها في موقع المدينة، وكذلك أثار الجامع الكبير لمدينة كومبي صالح[٢٨].

ثالثًا- موقع كومبي صالح بين النص التاريخي والمعطيات الأثرية

يمثل موقع كومبي صالح وفقًا للنصوص التاريخية قسمًا من عاصمة مملكة غانة، وترتبط المصادر بين انتشار الإسلام وظهور هذا القسم من عاصمة غانة، بل تجعل من هذا القسم الذي حمل اسم كومبي صالح القسم الأكثر نموًا ونشاطًا وازدهارًا بفضل حركة التجارة، وكثرة الصادر والوارد من المدينة وإليها[٢٩]، على النحو التالى:-

أشار البكري إلى أن حاضرة غانة مدينتان[٣٠] إحداهما كومبى صالح التى كان يسكنها المسلمون في القرن ٥هـ/١١م بالقرب من غانة، وهى مدينة كبيرة فيها اثنى عشر مسجدًا، وعلى ستة أميال منها مدينة الملك وتسمى الغابة، وبها مسجد يصلى فيه من قدم على الملك من المسلمين، وهم كثر، فتراجمة الملك ووزرائه من المسلمين[٣١]. وذكرها كذلك أبو الفدا المتوفي عام(٧٣٢هـ/١٣٣١م) على هذا النحو فقال: "أنها مدينتان على ضفتى نيلها إحداها يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار"[٣٢]. وذكر الحميري المتوفي عام(٨٦٦هـ/١٤٦١م) ما يؤكد رسوخ الإسلام في المدينة فأشار إلى جامعها الكبير بخلاف الكثير من المساجد التي تعج بالمصلين والفقهاء والعلماء[٣٣]. وهذا ما جاءت الحفائر داعمة له، فقد عثر ميزيير أثناء زيارته لموقع المدينة على بقايا ذلك المسجد الكبير في الجهة الغربية من المدينة[٣٤].

ويُفهم من كلام أبي الفدا أن المدينتين متقابلتين على ضفتي النهر، وأن الإسلام كان منتشرًا على نطاق واسع بين السكان حتى صارت لهم مدينة كبيرة لا تقل عن مدينة السلطان. وإذا كان البكري قد أكد على قدم انتشار الإسلام في المنطقة، فالأدلة الآثارية اعتمادًا على الاختبارات المعملية بالكربون المشع (C 14) على أقدم مساجد غانة تؤكد على أن الإسلام كان منتشرًا في غانة خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[٣٥]، وهذا بفضل جهود التجار

والدعاة[٣٦]، وعلى هذا لا يمكن قبول رواية البكري التى تشير إلى أن بني أمية أرسلوا جيشًا إلى بلاد السودان في أول الفتح[٣٧]. فالفاصل بين تاريخ بناء المسجد والعصر الأموي الذي انتهى فعليًا قبل بناء المسجد كبير، والراجح أن هذا من تأثير الروايات الشفهية التي تربط ممالك وشعوب السودان الغربي بالفاتحين الأوائل والنسب العربي.

وأما كومبى صالح فهي من أشهر مدن غانة، ورغم عدم ذكر المدينة صراحة كعاصمة لمملكة غانة، فإن الدراسات الأركيولوجية تؤكد تطابق موقع عاصمة مملكة غانة مع موقع كومبي صالح[٣٨]. كما تلعب الاكتشافات الآثارية الحديثة دورًا كبيرًا في إماطة اللثام عن الكثير من المناطق الغامضة في قارة أفريقيا[٣٩].

وأما اسمها، فيعنى مدينة صالح، وهى مدينة أثرية غمرتها الرمال كانت عاصمة لمملكة غانة، والراجح من نص ابن خلدون المتوفي(٨٠٨هـ/١٤٠٥م) أن كومبى صالح سميت باسم صالح ملك غانة، والذى يدَّعى أن نسبه يرجع إلى الحسن بن على كرم الله وجهه[٤٠]، وهو أول من أسلم من ملوكها في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ويفخر بذلك على سائر ملوك السودان، وهو كثير الجهاد ضد الوثنيين[٤١]. والذى أسس المدينة هو ولده عبد الله بن صالح، وظل أولاده وأحفاده يضيفون إليها المزيد من البنايات المتقنة البناء المزينة بالكثير من النقوش والألوان[٤٢]. ويشير صاحب كتاب تاريخ بنى صالح أن كومبى صالح تعنى الدولة والعاصمة معًا؛ حيث قامت مملكة بنى صالح، وكانت كومبى صالح المجاورة لمدينة غانة القديمة عاصمة لهم[٤٣].

وقد حاول بعض الكتَّاب الغربيين من أمثال دلافوس وبوفيل[٤٤] نسبة نشأة المراكز الحضارية بما فيها كومبي صالح لحكومة غانة الأولي التي قالوا إنها من المهاجرين البيض ذوي الأصول اليهودية[٤٥]، والذين هاجروا إلى المنطقة تحت الضغوط الرومانية[٤٦]، ولكنّ الأدلة الآثارية التي عثر عليها في موقع كومبي صالح لا تدعم هذا الاتجاه المزعوم بدور اليهود في مملكة غانة، ولا تشير إلى وصول أسلاف الطوارق إلى تلك المنطقة، بل تؤكد عدم صلة أولئك المهاجرين بعد ذلك بظهور مدينة كومبي صالح أو غيرها[٤٧].

وكانت أعمال التنقيب قد بدأت في المنطقة منذ مطلع القرن العشرين على أيدي دبلاج ثم توماسى ومونى، وقد كشفت جهودهم عن آثار مدينة إسلامية كبيرة تمتد على مساحة ميل مربع، قدروا عدد سكانها ما بين خمسة عشر ألفًا إلى عشرين ألف نسمة[٤٨]، وفي تقديرات

أخري بلغ عدد السكان نحو ثلاثين ألف نسمة على أساس أن كومبى صالح صارت عاصمة لغانة في الفترة الأخيرة من وجودها كدولة كبيرة مترامية الأطراف(٤٩). ويميل الباحث إلى التقدير الأخير؛ اعتمادًا على المكانة الكبيرة لكومبي صالح كمركز تجاري كبير في جنوب الصحراء، فقد استقبلت العديد من التجار من مختلف الجهات سواء في جنوب الصحراء أم شمالها، كما هاجر إليها الكثيرون من التجار واستقروا فيها.

وتشير تقارير حملة التنقيب التي قام بها توماسي وموني إلى موقع المدينة والطريق الذي سلكاه إليها، وهو طريق رملي سيء حسب وصفهما يبدأ من مدينة نارا(Nara) متجهًا نحو كارونجا(Karounga) ومنها إلى كومبي ديوفي(Koumbi Dioufi) إلى تمبيدار(Timbedar)، ومنها إلى كومبي صالح. وأكدا على أن هذا الطريق رملي سيء من بدايته ولمسافة عدة كيلومترات من مدينة نارا، كما أن المسافة بين كارونجا وكومبي ديوفي بها العديد من الكثبان الرملية الثابتة، كما وصفا المسافة بين تمبيدار وكومبي صالح بأنها سيئة أيضًا، ولا سيما في فصل الشتاء، إذ تصبح الطريق موحلة(٥٠). ومركز المدينة بُني على تل يبلغ ارتفاعه نحو ١٥م عن المستنقعات المجاورة له، وحدود التجمعات الحضرية المبنية بالحجارة واضحة تمامًا، كما توجد آثار لأكواخ من القش، وبيوت من الطين، هذا فضلًا عن المقابر التي تقع بعيدًا عن المركز الرئيس للمدينة(٥١).

وتؤكد اللقى الآثارية التي عُثر عليها في موقع كومبي صالح أن تطور المدينة مر عبر ست مراحل متتالية أقدمها وفقًا لتلك الأدلة يرجع للقرنين الخامس والسادس الميلاديين، أي قبل ظهور الإسلام بنحو قرن من الزمان، وقد أكدت عدة أبحاث أُجريت على موقع كومبى صالح أن في هذا الموقع وجد أحد أهم المراكز الحضرية القديمة جنوب الصحراء. كما أظهرت الحفائر أن هذا الموقع صار عامرًا عمرانًا متصلًا من القرن ٣-٩هـ/٩-١٥م(٥٢). كما تعطي الأدلة الآثارية إشارة حول تطور واتساع مساحة مدينة كومبي صالح في شكل دائرة نصف قطرها حوالي ١٠ كيلو متر(شكل: ١)، ويتفق هذا مع ما أشارت إليه المصادر من اتساع عمران غانة، ومن ثمَّ رقي عاصمتها واتساعها(٥٣).

وتنفي الأدلة الآثارية أيضًا قصة النيل التي وردت في بعض المصادر، وأن المدينتين متقابلتين على ضفتيه، فمن خلال الكشوف الآثارية اعتمد السكان في السقي والري إما على الأمطار(٥٤) أو الآبار(٥٥).

وأما **عمران المدينة** فقد اتفقت تقارير الحفائر الآثارية مع ما ذكره البكري من أن المدينة انقسمت إلى قسمين أو حيين، حي مسلم وآخر وثني ليس بينهما حدًا طبيعيًا. وقد ميز علماء الآثار بينهما من خلال السمات المعمارية لكل قسم. أما القسم الأول(**الحي المسلم**) والذي يقع في الشمال الشرقي، فيتميز بوجود العديد من المباني الحضرية المبنية بالحجارة وخشب السنط، كما أن المباني كانت ذات طابقين، والراجح أن تلك المباني كانت تخص التجار الأثرياء، وغالبيتهم من شمال الصحراء(٥٦).

أما القسم الآخر من المدينة(**الحي الوثني**) والذي يقع إلى الجنوب من القسم السابق، فقد شُيدت مبانيه بالطوب اللبن، والمنخفضات التي أسلفنا ذكرها كانت نتيجة لاستخدام التربة في صناعة الطوب لاستخدامه في بناء المنازل. ويضم هذا القسم قصر الملك وهو مميز عن المباني الأخرى بوجود العديد من القباب، كما أنه محاط بسور يفصله عن منازل الأهالي، ولذا عُرف هذا القسم بمدينة الملك، ويطلق عليها الغابة(٥٧). ورغم هذا التمايز بين قسمي عاصمة مملكة غانة، فالأدلة الآثارية تشير إلى أن تلك المنطقة الفاصلة بين القسمين والتي تمتد لنحو ستة أميال لم تكن خالية من الأنشطة البشرية، فقد كان الطريق بين الجانبين عامرًا بالعديد من القري(٥٨).

وأشار البكري إلى التعايش والامتزاج بين الإسلام والوثنية، فالحي الوثني من العاصمة كان به مسجدًا يصلي فيه من يأتي إلى الملك من المسلمين، فضلًا عن كبار رجال مملكته وبلاطه الذين كانوا على الإسلام، كما أن الحي المسلم كان فيه سكان من غير المسلمين، وتتفق نتائج الحفائر الآثارية مع ما ذهب إليه البكري(٥٩).

فتؤكد الحفائر الآثارية على أن الحي المسلم كان فيه سكان من غير المسلمين، ودليل ذلك المقابر التي عثر عليها في محيط مدينة كومبي صالح، ولا سيما المقبرة التي أطلق عليها القبر الكبير أو مقبرة الأعمدة (العمود)(شكل: ٢)(٦٠) فمن خلال طريقة الدفن وشكل المقابر واستخدام التوابيت في دفن الموتي يتبين أن أصحابها كانوا من غير المسلمين(٦١). ويعد هذا أمرًا طبيعًا لمدينة اشتهرت كواحدة من أهم المراكز التجارية جنوب الصحراء، مما يعني ورود العديد من التجار سواء من المسلمين أم من غير المسلمين إلى المدينة للعمل في التجارة. (فكرة الوكلاء التجاريون)

وتأتي الأدلة الآثارية لتؤكد على مكانة كومبي صالح ودورها كعاصمة لمملكة غانة القديمة، فقد عُدت كومبي صالح مع بعض المدن أهم المراكز الحضرية داخل المملكة، فقد عثر على بعض الأطلال الآثارية في موقع المدينة، تغطي تلك الأطلال نحو ميلين مربعين(٦٢)، والراجح أن من بين تلك الأطلال مبنيان يحتمل أنهما مقرا الحكم والإدارة بعد أن أضحت غانة مملكة كبيرة مترامية الأطراف(٦٣).

رابعًا- سكان مدينة كومبي صالح(٦٤)

تعد كومبي صالح من المدن الكبيرة التي تعج بالكثير من السكان، وقد قدمت دراسات المحدثين تقديرات لعدد سكان المدينة، فبلغ تعدادهم وفقًا لتلك التقديرات ما بين خمس عشرة ألفًا(٦٥) إلى ثلاثين ألف نسمة(٦٦). ووفقًا لتلك التقديرات، فقد تعددت أعراق السكان الذي سكنوا المدينة، فإلى جانب السكان المحليين بمختلف إثنياتهم وفد على المدينة البربر وأغلبهم من صنهاجة، ثم العرب، وهو ما أكدته المصادر الإسلامية(٦٧)، وجاءت نتائج الحفائر الآثارية التي أجريت في موقع المدينة لتؤكده(٦٨).

١- العناصر المحلية (السودان)(٦٩)

ضمت مملكة غانة عددًا من الإثنيات السودانية، غير أن أهم تلك الإثنيات هم الماندنجو الذين يعرفون كذلك باسم الماندي، ويعيشون في حيز جغرافي يمتد بين نهر النيجر شرقًا وأعالي نهر السنغال غربًا، ومنطقة الغابات جنوبًا. وتضم جماعة الماندنجو عدة بطون هي السوننكي والونقارة والمالنكي والبمبارا وغيرهم من البطون، وعليه فالماندنجو هم العنصر الرئيس لشعب مملكة غانة(٧٠).

ويُعد السوننك (Soninke) وفقًا للدراسات الأنثروبولوجية التي أُجريت على سكان المنطقة هم أكثر العناصر المنتمية للماندنجو الذين كان لهم دور في تاريخ غانة(٧١). ونظرًا للدور الكبير لهم وانتشارهم الواسع عُرف السوننك بمسميات مختلفة؛ وذلك بحسب المناطق التي سكنوها، أو ما أطلقه عليهم جيرانهم(٧٢)، وأشهر تلك الأسماء التي عرفوا بها السراكولى، وتعني الرجال الحمر، ويؤكد ذلك على اختلاط السوننك بعناصر غير زنجية تركت تأثيرها على صفاتهم، ولاسيما ألوانهم. وينقسم السوننك بدورهم إلى بطون عدة(٧٣). وإلى جانب السوننك عاشت فروع أخرى من الماندنجو غير أنها كانت أقل تأثيرًا من السوننك(٧٤).

الونقارا والملنكي من أهم بطون الماندنجو التي عاشت في مملكة غانة، واختلف في أصلهما، فقيل أنهما من أصل واحد، والفصل بينهما جاء بناء على عمل كل منهما، فالونقارا تجار والملنكي جنود(٧٥). وفي المصادر الإسلامية نجد إشارة إلى الونقارة على أنهم هم أنفسهم السوننك(٧٦)، وأما محمود كعت المتوفي(١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، فيرى أنهم من بربر صنهاجة وليسوا من السودان(٧٧). وهذا دليل دامغ على مدى الاندماج والتلاقح بين البربر والسودان لدرجة عدم التفريق بين قبائلهما في بلاد السودان.

الفولاني

شكل الفلانيون جزءًا أصيلًا من سكان السودان الغربي، فعاش بعضهم إلى جانب جماعات الماندنجو في مملكة غانة، وأشارت المصادر السودانية إلى أهم قبائل الفلان التي سكنت غانة وهم من عرفوا بالجلف، تميزوا بحسن أخلاقهم وشجاعتهم(٧٨)، وعاش الفلانيون على رعي الأبقار مما سمح لهم بالتنقل من مكان لآخر في السودان الغربي(٧٩)؛ ولذا يستند وجود الفولاني في مملكة غانة إلى التفاعلات الاقتصادية التي قامت بين كومبي صالح باعتبارها مركزًا تجاريًا كبيرًا، والمناطق المجاورة لها، الأمر الذي أدي إلى تحركات كبيرة للسكان انتقلوا على إثرها للعيش في كومبي صالح، واختلطوا بسكانها من السوننك وغيرهم(٨٠)، وقد ترك ذلك أثره في الصفات الجسمانية والإثنوجرافية للسوننك(٨١).

وتشير الحفائر الآثارية أيضًا إلى أن جماعة من الفولاني قد سكنوا مدينة كومبي صالح، وقد ميز الآثاريون بين الفولاني وغيرهم ممن سكنوا المدينة من بقايا مقابرهم التي كانت مختلفة بعض الشيء في شكلها وطريقة الدفن فيها عن مقابر غيرهم من السكان(٨٢).

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بالنسبة للسكان في مملكة غانة، حيث إن كل مجموعة من المجموعات السالفة الذكر تنقسم بدورها إلى مجموعات عرقية كثيرة، ولكن هناك خلط بين تلك المجموعات العرقية وبين المهن التي يعملون بها، فصار اسم الجماعة منهم يستخدم كمصطلح يشير إلى المهنة التي يعملون بها، ومثال ذلك الونقارا السالف ذكرهم والديولا، فهما يعبران عن عمل تلك المجموعات بالتجارة(٨٣).

٢- العناصر الوافدة (البربر والعرب)

كان كل من **البربر العرب** من أهم العناصر السكانية التي عاشت في مملكة غانة، ولاسيما كومبي صالح. أما **البربر**، فقد أشار ابن حوقل المتوفي(٣٦٧هـ/٩٧٨م) إلى كثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم، وكذلك انتشارهم في البراري والصحاري الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي[٨٤]، وقد تمكنوا مع ظهور الجمال من قطع الصحراء إلى بلاد السودان الغربي[٨٥]، فوصلوا إلى غانة وامتزجوا تمامًا بسكانها المحليين، فعاشوا حياتهم وتكلموا لغة الماندي(Mande)[٨٦]، وبلغ من شدة اختلاطهم باسكان المحليين أن قيل في أصول بعض قبائلهم أنهم من السودان الذين أبيضت بشرتهم[٨٧]. وكان العمل الرئيس للبربر هو التجارة، لا في كومبي صالح فحسب بل انتشروا في غيرها من المراكز التجارية في مملكة غانة[٨٨].

وأما **العرب**، فالإشارت المصدرية حول وجود العرب في مملكة غانة قليلة جدًا ومقتضبة للغاية تتحدث دائمًا عن أفراد من العرب[٨٩]. ورغم ذلك لا يُستبعد وصول أعداد كبيرة من العرب إلى مملكة غانة، فالعرب بفطرتهم التجارية اجتذبتهم المنطقة بثرائها، وخاصة بالذهب، فانضموا إلى البربر، وأقاموا علاقات تجارية واسعة بين مواطنهم الأصلية وموطنهم الجديد[٩٠]، وفي بلاد السودان اختلط العرب على عادتهم بأهل البلاد الأصليين، وكان من نتاج ذلك ظهور أجيال مولدة، وحسبنا في ذلك ما ذكره محمود كعت من أن أصول بعض القبائل في بلاد السودان عربية[٩١].

والراجح أن وصول العرب إلى بلاد السودان كان مبكرًا وهذا ما تؤكده الحفائر الآثارية، فقد ساهموا منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بنصيب وافر في التطور المعماري الذي شهدته كومبي صالح، إذ ارتبطت مملكة غانة بعلاقات قوية آنذاك مع مناطق شمال الصحراء[٩٢]. وكان من نتاج وصول العرب ومن قبلهم البربر واستقرارهم في المنطقة على هذا النحو ظهور طبقة حاكمة تدعى واجادو(Wagadou)، وهو اسم العشيرة الملكية التي كانت تحكم قبائل المنطقة[٩٣]، وظهور جيل جديد أطلق عليه السعدي اسم المولدون[٩٤].

خامسًا- المعتقدات المحلية والإسلام في كومبي صالح

رغم تأكيد توماسي وموني على انتشار الإسلام في تلك الجهات من خلال الآثار التي عثرا عليها، إلا أنهما لم يعثرا على أية أدلة تشير إلى الفترة الوثنية التي عاشتها غانة القديمة[٩٥]. ولكنّ المصادر العربية عالجت ذلك الأمر، فيتضح مما ذكره البكري أن أهل غانة كانوا يعبدون

الأصنام التي تسمى عندهم دكاكير، ويتقربون إلى أرواح الأسلاف فيذبحون لهم ويقدمون لهم الخمور قربانًا(٩٦).

وكان للسحرة مكانة عظيمة عند أهل غانة، فهم حراس الغابة المقدسة، وهم من يمتلكون قدرة التواصل مع أرواح الأسلاف. وغالبًا ما يكون السحرة من الحدادين؛ لاعتقاد الناس أنهم يعرفون أسرار استخدام النار في صناعة وتشكيل الحديد. وقد كانت الغابة المقدسة وسيلة مهمة استخدمها السحرة في تدعيم نفوذهم في نفوس الأهالي، فمن غير المسموح به دخول أحد من الأهالي إلى تلك الغابة، ومن يدخلها لا يخرج منها مرة ثانية، ولا يُسمع من أخباره شيء(٩٧).

عَظّم أهل غانة كذلك ملوكهم، وقد أظهرت الحفائر ذلك التقديس من عظم مقابر هولاء الملوك واتساعها، وكذلك من خلال محتويات تلك المقابر، التي كانت تضم إلى جانب جثمان الملك العديد من الهياكل البشرية، ويعتقد أن مَن دُفن مع الملك هم خاصة خدمه، هذا فضلًا عن العديد من الهياكل الحيوانية، مما كان يعد من تجهيزات الطعام التي توضع مع الملك ورفاقه في القبر، يضاف إلى ذلك أدوات الزينة وعدة الحرب الخاصة بالملك ومن دفنوا معه(٩٨).

ويؤكد على ذلك الوصف الأثري لبعض تلك المقابر، وتحديد أبعادها، فقد عُثر في موقع عاصمة غانة على عدة تلال تأكد أنها تلك المقابر التي أشارت إليها المصادر، وكان القبر يمتد من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ طوله ما بين ١٠ إلى ١٢ مترًا في عرض ٤ أمتار، ويصل ارتفاع المقبرة من متر إلى نحو أربعة أمتار(٩٩). والقبر مقسم من الداخل إلى أكثر من حجرة، ففي بعضها كان القبر مكونًا من خمس حجرات، والقبر بهذه الأبعاد والتقسيم يستوعب المحتويات التي أسلفنا ذكرها، فضلًا عن العديد من المواد المستوردة من خارج غانة، كالنحاس، والخرز، والبورسلين، والزجاج، والجرار الكبيرة، التي يرجح أنها كانت تستخدم لتخزين الحبوب(١٠٠).

ولم تكن طريقة الدفن واحدة لدي السكان، مما يدل على بعض الاختلافات في المعتقد، وقد دل على ذلك شكل المقابر؛ إذ لم تكن كلها في اتجاه جنوبي غربي، فقد وجدت بعض المقابر الصغيرة تأخذ اتجاهات مختلفة وعكسية لهذا الاتجاه. كما ظهر من خلال الحفائر أن البعض قد استخدموا التوابيت لدفن موتاهم(١٠١). هذا فضلاً عن ظهور بعض السمات الفنية في عدد من تلك المقابر، منها أن الجدران الداخلية لبعض المقابر كانت مغطاه بطبقة من الطين استُخدمت لنقش بعض الرسوم باللون الأحمر(١٠٢).

وكان للأهالي طقوس يؤدونها في أوقات محددة لمعبوداتهم ولأرواح أسلافهم، ففضلًا عن القرابين التي كانت تقدم(١٠٣)، كانت تمارس الرقصات الطقسية الموسيقية للتواصل مع أرواح الأسلاف، وقد استخدم الأهالي في تلك الرقصات تماثيل صغيرة، وأقنعة مخصوصة بأشكال مختلفة بين القبيحة والجميلة، وكان المغزي من تلك الأشكال هو إثارة الخوف والاحترام في نفوس الأهالي تجاه تلك الأرواح(١٠٤). مما يعني أن تلك المقابر لا تخص المسلمين.

وهنا يأتي دور نتائج الحفائر، حيث أكد برنارد سايسون وفريقه في تقارير الحفائر التي قاموا بها في الفترة من ١٩٧٢ إلى ١٩٧٦ أن مقبرة العمود إنما تمثل الفترة السابقة على انتشار الإسلام في مملكة غانة، وهذا طبقًا لأسلوب الدفن والتقاليد التي استخدمها السكان في دفن موتاهم، وأن نسبه لا تتعدي ٧,٥٪ فقط من المقابر التي كُشف عنها يعتقد أنها تخص المسلمين(١٠٥).

ولكنَّ هذه نسبة ضئيلة جدًا بالنسبة لمدينة وصفت بأنها مدينة إسلامية منذ نشأتها، فالدراسات الآثارية الحديثة تشير إلى أن مقبرة العمود رغم قدمها إلا أنها استُخدمت أيضًا بشكل كبير من جانب المسلمين. ويرى عالم الآثار الفرنسي كلوي كابيل(Chloé Capel) المتخصص في منطقة غربي أفريقيا أن مرد الخطأ الذي وقع فيه سايسون ورفاقه هو التحديد الخاطئ لمدخل المقبرة؛ فقد أشاروا إلى أن مدخلها يقع في الشمال الغربي في حين أن مدخلها يقع في الجنوب الغربي، وقد أثر ذلك التحديد على وصفهما لاتجاه الدفن في المقبرة، وبالتالي استنتاجهم أن المقبرة لا تخص المسلمين(١٠٦).

أما عن انتشار الإسلام في غانة وظهور مدينة كومبي صالح، فتعد قضية الإسلام في أرض غانة من القضايا غير المحددة بتاريخ مؤكد، غير أن وصول الإسلام إلى تلك المنطقة قديم، ويسوق لنا البكري قصة ذلك الجيش الذي أرسله بنو أمية إلى تلك الجهات، وأن ببلاد غانة جماعة من ذرية ذلك الجيش(١٠٧). ولا نعتقد في صحة هذا الخبر الذي جاء به البكري، بل إن ما يشير إلى انتشار الإسلام في مملكة غانة هو توقير حكامها بسي وتنكامنين للإسلام والمسلمين، وهو ما أكد عليه البكري نفسه(١٠٨).

ومن أدلة قِدم الإسلام في مملكة غانة ظهور مدينة كومبي صالح نفسها، فالمدينة وصفت بأنها القسم الإسلامي من عاصمة غانة؛ وهذا يعني أن هذا القسم ظل ينمو ويعمر بسكانه المسلمين عبر فترة زمنية طويلة كان الإسلام قد وصل فيها إلى تلك الجهات حتى صار هذا

القسم يمثل شطر عاصمة مملكة غانة[١٠٩]، هذا فضلًا عن تشييد ملك غانة الوثني آنذاك لمسجد في مدينة الغابة عاصمته يصلي فيه من يفد على الملك من المسلمين، وكذلك من وظفهم الملك من المسلمين للعمل في بلاطه[١١٠].

وتبرز هنا أهمية الدليل الأثري في إثبات انتشار الإسلام ورسوخ مكانته بين السكان، ونقصد بخلاف وجود المساجد وجود شواهد القبور، فقد عثر الآثاريون في موقع المدينة على العديد من شواهد القبور، قسموها إلى قسمين، الأول ويبلغ عددها نحو ثلاثة وخمسين شاهدًا لقبور كانت تحمل في نقوشها آيات قرآنية، وأسماء إسلامية، والقسم الثاني من تلك الشواهد يبلغ نحو أربعة وعشرين شاهدًا لا تحمل سوي زخارف هندسية إلى جانب الأسماء، تحمل تلك الشواهد تواريخ مختلفة يرجع أقدمها لعام ٤٢٨هـ/١٠٣٧م[١١١].

وفيما يخص **المقابر** أيضًا ودلالتها على انتشار الإسلام في المنطقة، فقد عثر في المنطقة الجنوبية الشرقية لمدينة كومبي صالح على مقبرة أطلق عليها توماسي مقبرة الصحابي نسبة إلى أحد أصحاب أبي بكر بن عمر المرابطي[١١٢]، وتعد تلك المقبرة هي الأكثر تعبيرًا عن الوجود الإسلامي في المدينة، فقد سجل توماسي وموني نحو تسعة عشر نقشًا لشواهد القبور في هذه المقبرة، ورغم أن ترجمة تلك النقوش تشير إلى أن عمرها لا يتعدى الثلاثمائة عاما، فيرجح أن هذه المقبرة قد اكتسبت قدسية لدي السكان فأعادوا استخدامها وسجلوا على قبورها تلك النقوش[١١٣].

استخدم الآثاريون كذلك البقايا المستخرجة من موقع مسجد كومبي صالح الكبير في تحديد تاريخ وصول الإسلام إلى المنطقة، استخدموا أولًا الكربون المشع (C14)، ثم أُجريت بعض التحليلات الفيزيائية في معهد الفيزياء النووية بجامعة ليون؛ كانت نتيجة استخدام الكربون المشع تحديد الفترة ما بين القرن ٤-٦هـ/١٠-١٢م، كتاريخ لبناء المسجد وما أدخل عليه من تطورات. بينما كانت نتيجة التحليلات الفيزيائية إن هذا البناء قد شيد في القرن ٥هـ/١١م[١١٤].

ولم يقتصر وجود الإسلام في مملكة غانة على العاصمة ومن يفد على ملك غانة من المسلمين، بل تأكد قدم الإسلام في المملكة من انتشار المسلمين في عدة مدن تابعة لمملكة غانة مثل غياروا ويرسني وكوغة وملل، وغيرها من المدن. ومن أدلة انتشار الإسلام في غانة التقدير الكبير الذي حظي به المسلمون من جميع سكان المملكة، فكانوا يكرمون وفادتهم ويفسحون لهم الطريق إذا مروا بهم[١١٥].

سادسًا- الأنشطة الاقتصادية في مدينة كومبي صالح

امتدت مملكة غانة على مساحة واسعة من الأرض على الحافة الجنوبية من الصحراء الكبرى، فقد سيطرت هذه المملكة على أراضي تمتد من شرق حوض نهر السنغال في الغرب وحتي غربي حوض بحيرة تشاد(١١٦)، ومع اتساع الرقعة التي سيطر عليها ملوك غانة تنوعت الموارد، ومن ثمَّ تنوعت الأنشطة الاقتصادية لسكانها، ولا سيما في عاصمتها كومبي صالح؛ إذ لم تكن التجارة هي النشاط الوحيد الذي مارسه سكان المدينة، فالنشاط التجاري له متطلبات لا تتوافر لجميع السكان في المدينة، مما أدي لتنوع الأنشطة الاقتصادية لسكان كومبي صالح على النحو التالى.

١- النشاط الفلاحي في كومبي صالح

مارس سكان كومبي صالح الزراعة، رغم أن الجفاف ضرب معظم أراضي غانة القديمة(١١٧). ويذكر دلافوس أن التاريخ الشفاهي للسودان الغربي يؤكد على ذلك؛ إذ ترد فيه الكثير من الإشارات الرمزية إلى التجارب الزراعية التي حاول الصيادون والمحاربون القيام بها(١١٨)، وتبرز هنا قيمة العمل الأثري، فقد أخبر الأثاريون أن منطقة كومبي صالح تختلف عن المناطق المجاورة لها، حيث زارها ميزيير في موسم الجفاف، فأشار إلى أن الأشجار كانت لاتزال مورقة، كما كانت توجد مساحات من المراعي الخضراء(١١٩).

إن ما أشار إلية ميزيير يؤكد على خصوبة التربة في كومبي صالح، وبحسب إشارات البكري وُجدت مساحات من الأرض السهلية الصالحة للزراعة، وكذلك وُجد الماء على أعماق قليلة، مما مكن السكان من حفر عدة آبار حول المدينة، كانوا يشربون منها ويزرعون حولها الخضروات(١٢٠)، هذا فضلًا عن الذرة التي تُعد أهم محاصيلهم، بل كانت الغذاء الرئيس لسكان غانة(١٢١).

ووفقًا لإشارات البكري، فإن المدينة قد شهدت نشاطًا فلاحيًا معتبرًا، ويدعم ذلك ما أكده الأثاريون من وجود عدة منخفضات يرجح أنها كانت بمثابة أحواض تخزن فيها مياه الأمطار، فهي تشبه المواجل(١٢٢) التي عرفتها أفريقية، وهذه الخزانات استُخدمت في الرى وسقي الماشية(١٢٣)، كما عُثر على أثار لآبار استخدمها السكان للشرب(١٢٤). وفضلًا عن ذلك أكدت اللقى الآثارية التي أرجعها الآثاريون للقرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م على نشاط السكان الفلاحي؛ حيث عُثر على الفؤوس(المعاول)، وهي من أهم الأدوات التي استخدمها السكان في العمل

الحقلي لتقليب التربة وإعدادها للزراعة، كما عُثر كذلك على أدوات لإزالة الحشائش الضارة، ومدقات لدرس الحبوب، ومطاحن يدوية مصنوعة من الحجر لطحن الحبوب، وهذا يؤكد على أن الزراعة كانت تمثل جانبًا مهمًا من جوانب الاقتصاد لا في غانة وحدها، بل في مختلف الممالك التي قامت في المنطقة آنذاك(١٢٥).

٢-الصيد البري في كومبي صالح

لم ترد في النصوص المصدرية إشارات واضحة حول حرفة الصيد البري، وهل مارسها سكان كومبي صالح أم لا؟ غير أن تقارير الحفائر الآثارية تشير إلى قيام بعض سكان المدينة بالصيد البري في محيط المدينة، دل على ذلك وجد رؤوس السهام والنصال بين المكتشفات الآثارية التي عُثر عليها في أطلال المدينة(١٢٦).

٣-النشاط الحرفي والصناعي في كومبي صالح

لم يكن ازدهار كومبي صالح كعاصمة لمملكة غانة مرتبطًا بالحركة التجارية فحسب، وإنما ارتبط كذلك بنشاط حرفي وحركة تصنيع واسعة شهدتها المدينة التي كانت مليئة بورش للحدادين والنساجين والخزافين وغيرهم من أرباب الصناعات(١٢٧).

وقد أدي ذلك إلى تعدد الحرف التي مارسها سكان كومبي صالح، يؤكد ذلك ما عثر عليه المنقبون في حفائرهم من بقايا الحديد والنحاس والفخار والخزف بأطلال كومبي صالح، والتي أرجعوا تاريخها بحسب التحليلات التي أُجريت على بعضها إلى الفترة الممتدة من القرن الرابع حتي بداية السابع للهجرة/العاشر حتى بداية القرن الثالث عشر للميلاد، على النحو التالي:

الصناعات المعدنية

أ.صناعة الحديد

اشتهرت بعض القبائل التي سكنت ممكلة غانة ككل باحتراف صناعة الحديد حتى صاروا يعرفون بالحدادين(١٢٨)، وكان على رأس العشائر التي احترفت الحدادة عشيرة كوروما(Koroma). وكانت لصناعة الحديد أهمية كبيرة في غانة، ولذا كان للحدادون موقعًا مرموقًا في الهرم الاجتماعي للسكان(١٢٩). وقد تبوأ الحدادون تلك المكانة من أهمية ما يقدمونه للمجتمع من مصنوعات يستخدمها بقية أفراد المجتمع كل في حرفته أو صنعته. وقد أكسب الحدادون جيش غانة قوة كبيرة، فتسليح جيشها كان من السهام والرماح المصنوعة من الحديد،

الأمر الذي مكن ملوكها من توسيع رقعة المملكة في كافة الاتجاهات(١٣٠). وإلى جانب الأسلحة عُثر على الكثير من السهام والحراب التي استخدمها الصيادون(١٣١)، وبعض الأدوات التي استخدمها المزارعون في إعداد الأرض للزراعة، وأدوات للنجارة كالأقفال والمسامير من جميع الأحجام وكماشة يرجع تاريخها للقرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م. (شكل:٣)(١٣٢).

وتدل هذه المكتشفات على أهمية حرفة الحدادة وما أسهم به الحدادون في إمداد أرباب الحرف الأخرى بما احتاجوا إليه من أدوات أعانتهم في مزاولة أنشطتهم واستمراريتها وتطورها.

أخيرًا دلت المكتشفات والأدلة الآثارية أن صناعة الحديد قد تركزت في أقصى الجنوب الشرقي من مدينة كومبي صالح؛ حيث وُجدت أثار عديدة للأفران التي تستخدم في صهر الحديد(١٣٣).

ب.الصناعات النحاسية

كان النحاس أحد أهم المعادن التي شاع استخدامها في مناطق عدة من أفريقيا جنوب الصحراء، بل إنه أصبح أداة أساسية للتحول الاجتماعي في تلك الجهات(١٣٤). وفي بلاد السودان الغربي هناك أدلة على وجوده وتصنيعه في أودغست(١٣٥)، وكذلك في حوض السنغال الأوسط(١٣٦)، تؤكد الأدلة الآثارية على وجوده وبكثرة في حفائر منازل كومبي صالح خلال القرنيين الخامس والسادس للهجرة/الحادي عشر والثاني عشر للميلاد(١٣٧). وتتوافق النصوص المصدرية مع الأدلة الآثارية، فتؤكد أن النحاس الذي عثر عليه في كومبي صالح يرجح أنه كان مستوردًا من خارجها، فقد كان النحاس وفقا للإدريسي المتوفي عام(٥٦٠هـ/١١٦٤م) من بين الصادرات التي يتجهز بها تجار المغرب الأقصى في تجارتهم ببلاد السودان الغربي(١٣٨)، بل وتؤكد على توافره –أي النحاس– في أسواق كومبي صالح، واستخدامه في المبادلات التجارية بعد تصنيعه(١٣٩).

وفي كومبي صالح وجد الآثاريون كميات وفيرة من النحاس، وجد منفردًا وكذلك مختلطًا ببقايا مواد أخري، كالخشب والجلد والقماش، غير أن معظم ما عُثر عليه من النحاس كان مؤكسدًا وفي حالة غير جيدة، الأمر الذي لم يمكن الباحثين من معرفة الكثير من المعلومات حول صناعته(١٤٠).

وهنا تمثل حفائر أودغست، وحوض السنغال الأوسط أهمية كبيرة في معرفتنا حول نحاس كومبي صالح، فقد أشار الآثاريون الذين نقبوا في المدينتين السالفتين إلى أهمية النحاس في

كومبي صالح، وأنه كان يستخدم في صناعة أسلاك ذات رأسين استخدمت كنوع من العملة(شكل: ٤)[١٤١]، كما درجوا على استخدامه في صناعة بعض حليهم[١٤٢]. كما لا يستبعد أن أسواق كومبي صالح قد تلقت بعضًا من النحاس المصنوع على نحو ما عرف في أسواق أودغست[١٤٣].

ويرجح أن التشابه في صناعة النحاس بين كومبي صالح وأودغست إنما يرجع للفترة التي سيطر فيها ملوك غانة على أودغست والتي امتدت لأكثر من نصف قرن في الفترة ٣٨٠-٤٤٦هـ/٩٩٠-١٠٥٤م؛ إذ تؤكد تقارير الحفائر الآثارية في أودغست على ازدهار الأنشطة الاقتصادية فيها خلال تلك الفترة[١٤٤]، كما تبين أن المدينة لم تضمحل وتفقد نشاطها إلا في أعقاب الغزو المرابطي لها ٤٤٦هـ/١٠٥٤م، مما اضطر السكان للفرار منها[١٤٥].

ج. صناعة الذهب

اشتهرت غانة بكونها أرض الذهب، غير أن شهرتها لم تقف عند حد تصدير الذهب للمناطق الشمالية، وإنما عرفت كومبي صالح أيضًا تصنيع الذهب. ويدل على ذلك أن ملك غانة كان يتحلى بحلي النساء. وقد أكدت النصوص المصدرية على وفرة الذهب وإعادة تصفيته وتصنيعه، وعدم الاكتفاء بتصديره كمادة خام فقط. ويفهم هذا من خلال الإشارات المتداولة حول كثرة الذهب الذي تزين به ملك غانة في عنقه وذراعيه، حين يجلس بين الناس للنظر في المظالم، كما يظهر في وصف المصادر للغلمان الذين يقفون من خلف الملك وهم يحملون السيوف المحلاة بالذهب، وتغطي شعورهم أسلاك من الذهب[١٤٦]. وبلغ من كثرة الذهب في غانة وفقًا لإشارة البكري أن صنعوا للكلاب التي تحرس الملك أطواقًا من الذهب بها أجراس من الذهب والفضة[١٤٧].

وأكدت الأدلة الآثارية على ما جاءت به المصادر، فقد عثر المنقبون على كميات كبيرة من الأساور خلال الحفائر التي أجريت في مقبرة العمود، وتوكد تلك المكتشفات على ما وصلت إليه صناعة الذهب في كومبي صالح من رقي من خلال تنوع أشكالها ودقة صناعتها[١٤٨].

د. صناعة الحلي

برع حرفيو كومبي صالح في صناعة الحلي، فقد أشار البكري إلى تحلي ملك غانة بحلي النساء في العنق واليدين[١٤٩]، وجاءت تقارير الحفائر الآثارية لتؤكد ما ورد بالمصادر. فقد

استخدم حرفيو المدينة مواد خام مستوردة ومحلية في صناعة الحلي؛ فصنعوا الحلي من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة والخزف والزجاج(١٥٠)، وكلها مواد مستوردة(١٥١) صنعوا الحلي كذلك من الحجر الجيري، فقد عُثر في الحفائر على أحد العقود المصنوعة من الحجري الجيري غير أنه كان في حالة سيئة للغاية(١٥٢).

وتظهر براعة حرفيي كومبي صالح في صناعة الحلي في تعدد الأشكال والألوان ما بين الأبيض والأصفر والأحمر والوردي، وغيرها من الألون. هذا فضلًا عن الزخارف التي ميزت بعض العقود التي عثر عليها خلال الحفائر الآثارية التي أجريت في عدة مواقع في أطلال المدينة (شكل: ٥)(١٥٣).

هـ. حرفتا النسيج والحياكة

كان النسيج والحياكة من الحرف التي عمل بها بعض سكان كومبي صالح، وقد توافرت مصادر عدة للمادة الخام التي تستخدم في صناعة الأقمشة، فقد دأب السكان على استخراج خيوط من الصوف أبيض اللون من بعض الأشجار التي تنمو في محيط المدينة استخدموها في نسيج الأقمشة التي صنعوا منها بعض ملابسهم، وكان من ميزات الثياب التي تصنع من تلك المادة أنها لا تتأثر بالنار، وعرف أهل غانة كذلك صناعة المنسوجات القطنية والحرير والديباج. وإلى جانب هذه الأنواع من المنسوجات استخدم سكان المدينة مادة أخري تشبه الكتان كانوا يصنعون منها قيود دوابهم(١٥٤).

ومن الأدلة الآثارية على اهتمام السكان بتلك الحرفة العثور علي مقصات جيدة الصنع في حفائر كومبي صالح، وهي من أقدم الأدوات التي عثر عليها، ويعود تاريخ تصنيعها لفترة ازدهار كومبي صالح خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة. كما عُثر على قطعة حجرية أسطوانية مثقوبة بقطر أربعة سنتيمترات يرجح أن تكون مغزلاً(شكل: ٣)(١٥٥).

و. المصنوعات الجلدية

تعد حرفة دبغ الجلود وما قام عليها من مصنوعات جلدية من الحرف التي راجت في أوساط مجتمع كومبي صالح، ومرد ذلك هو وفرة المواد الخام من الجلود، وتنوعها، تبعًا لتنوع الثروة الحيوانية التي حظيت بها المدينة، إذ كانت تكثر فيها الجمال والأبقار والمعز والحمير فضلًا عن أفراس النهر والفيلة في المناطق المحيطة بالمدينة(١٥٦). ومع توافر الجلود على

النحو سالف الذكر قامت في المدينة بعض الصناعات الجلدية، فاشتهرت كومبي صالح بصناعة أنواع من السياط استخدم في صناعتها جلود أفراس النهر، وكانت تصدر إلى كافة الأسواق التي تتعامل مع أسواق كومبي صالح(١٥٧)، وكذلك صناعة أنواع من الطبول عرفت باسم دبا اشتهر استخدامها في مجالس ملك غانة(١٥٨)، وفي مواكبه اليومية برفقة قواده وكبار رجال مملكته، فضلًا عن صناعة النعال(١٥٩). وقد عثر المنقبون في أطلال كومبي صالح على بقايا من الجلد مختلط بالأخشاب والقماش(١٦٠).

ز. حرفة البناء

يؤكد ما كشف عنه الآثاريون من منشآت ومقابر في أطلال مدينة كومبي صالح على تطور حرفة البناء في المدينة، وأن أعدادًا كبيرة من السكان عملوا في حركة التشييد والبناء التي شهدتها المدينة، فلا يخلوا قسم من أقسامها من وجود المنشآت، سواء المنازل أم المقابر أم التحصينات. كما تؤكد الحفائر على معرفة السكان بطرق صناعة الطوب، فقد وجدت أحجام مختلفة منه في مواقع الحفر، وكذلك عرف السكان استخدام ما يشبه الأسمنت لتحقيق قدر أكبر من التماسك بين رصات الطوب(١٦١).

وفضلًا عن ذلك فقد فرشت أرضيات المنازل بألواح من الحجر بلغ متوسط الواحدة منه متر في ثمانين سنتيمتر(١٦٢)، في حين أكدت حفائر دينيس روبرت وفريقه عام ١٩٧٢ عما وصل إليه سكان كومبي صالح من مهارة في البناء عندما كشفوا عن أبنية جملية متقنة البناء في موقع المدينة، تميزت تلك المباني ببطانات خارجية ملساء لحماية المباني، وبأرضيات من الجبس(١٦٣).

وعلى صعيد آخر، لم يغفل أهل كومبي صالح تزيين منازلهم، فقد عرفوا استخدام الفخار المزجج للتزيين(١٦٤)، هذا إضافة إلى الأشكال الجمالية التي صُممت من ألواح غير منتظمة من الصخور، ولكنها متشابكة مع بعضها البعض بصورة جيدة لتعطي صورة جمالية للبناء(١٦٥). ومن أهم العناصر الزخرفية التي اشتملت عليها آثار المنازل في كومبي صالح وجود أعداد كبيرة من المشكاوات المحفورة في الجدران بأشكال هندسية مختلفة(١٦٦).

علاوة على تزيين المنازل طور البناؤون في كومبي صالح الخدمات المنزلية فعُثر في الحفائر على آثار مجموعة معقدة من القنوات استخدمت في تصريف المياه المستخدمة في

المنازل، كما كشفت الحفائر عن أثار رماد في عدة مواقع يرجح أنها كانت أماكن المواقد والأفران(١٦٧). وأخيرًا تظهر روعة البناء في كومبي صالح وما وصل إليه سكانها من مهارة في البناء في بقايا مسجد كومبي صالح الكبير(شكل: ٦)(١٦٨).

ح. صناعة الفخار والخزف

رغم ما كان يستورد من الفخار والخزف إلى أسواق كومبي صالح، ولاسيما الفخار المغربي المطلي بالمينا(١٦٩)، إلا أن صناعتهما شهدت انتشارًا واسعًا في مدينة كومبي صالح، وصناعة الفخار والخزف من الصناعات المعقدة التي كانت تمر بمراحل عدة أكدت الأدلة الآثارية أنها خمس مراحل تبدأ باختيار المادة الخام ثم معالجتها تمهيدًا لتشكيلها، ثم حرقها، وأخيرًا زخرفتها هذا فيما يخص مراحل التصنيع. أما مستويات التصنيع فقد قُسمت إلى ثلاثة مستويات تشير إلى تطور صناعة الفخار والخزف في كومبي صالح، وما طرأ عليها من تطور سواء من حيث جودة التصنيع أم الزخارف(شكل: ٧). ويمكننا ربط تطور هذه الصناعة بالتطور الاجتماعي والاقتصادي للمدينة؛ فقد كان لموقع كومبي صالح التجاري أثره في جذب الكثير من الحرفيين الذين ارتبط قدومهم بتطور صناعة الفخار والخزف فيها(١٧٠).

ولكن ثمة ملحوظة لابد من إثباتها، فبرغم التطور الكبير في صناعة الخزف في كومبي صالح، إلا أن الحفائر الآثارية أكدت وجود خزف مستورد من سواحل البحر المتوسط، كما أكدت الحفائر على انتشار ذلك الخزف على نطاق واسع في أفريقيا جنوب الصحراء؛ إذ لم تكن كومبي صالح وحدها هي من استوردته، فقد عثر على بقاياه في أودغست وجاو(١٧١)، وكذلك في حوض نهر السنغال(١٧٢). وسيظهر ذلك لاحقًا عند الحديث عن واردت كومبي صالح.

وكانت المحصلة النهائية لهذا الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة في مملكة غانة زراعية كانت أم معدنية، أن تطورت مراكزها الحضرية على نحو كبير ولاسيما كومبي صالح(١٧٣).

٤-النشاط التجاري في مدينة كومبي صالح

سبق وأن أشارت الدراسة إلى أن مملكة غانة في أوج ازدهارها كان لها عاصمتان، أما الأولي منهما فكانت تعرف بالغابة، وهي مستقر بلاط الملكة وكبار رجال البلاط، ويمكن أن نطلق عليها العاصمة السياسية للمملكة. وأما العاصمة الثانية وهى مناط بحثُنا فهي مدينة كومبي صالح، والتي كانت تمثل العاصمة الاقتصادية بالنسبة لمملكة غانة(١٧٤). وقد أكدت

الحفائر الآثارية والمخلفات التي عثر عليها المنقبون على ازدهار العلاقات التجارية بين هذه المدينة ومدن شمال الصحراء منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي(١٧٥).

وعلى هذا النحو غدت كومبي صالح المركز التجاري الرئيس جنوب الصحراء متفوقة في ذلك على كثير من المراكز التجارية، وتؤكد الحفائر الآثارية ذلك؛ إذ ذكر كل من ميزيير ١٩١٤ وموني وتوماسي في الفترة من ١٩٥١-١٩٥٦ في تقاريرهم أن هناك مساحة واسعة مفتوحة في وسط المدينة يرجح أنها ساحة السوق الرئيسة، ومن تلك الساحة تتفرع شوارع رئيسة في اتجاه شرقي وغربي، ومن تلك الشوارع تتفرع شوارع أخري فرعية(١٧٦). وتوضح الخرائط التي وضعها الآثاريون للمدينة مساحات مفتوحة على جانبي تلك الشوارع يرجح أنها تمثل محلات وأكشاك التجار التي كانوا يعرضون فيها بضائعهم(١٧٧).

ومن هذا المنطلق كانت مدينة كومبي صالح عاصمة اقتصادية لمملكة غانة، وفي الوقت ذاته كانت أحد أهم المراكز التجارية في المملكة(١٧٨)، إليها ترد جميع البضائع والسلع من مختلف المناطق، وفيها يتم توزيع تلك البضائع والسلع على الأسواق داخل المملكة وخارجها(١٧٩).

وقد ارتبطت عبر عدة طرق تجارية(١٨٠) بأسواق ومراكز تجارية في شمال الصحراء(١٨١)، وشهدت كومبي صالح لأهميتها التجارية نشاطًا تجاريًا واسعًا مع المحيط الخارجي عبر نظام الوسطاء أو الوكلاء التجاريين الذين كانوا يزاولون أعمالًا تجارية مع الجهات الجنوبية غير الإسلامية فضلًا عن ارتباطها التجاري بالنطاق الشمالي(١٨٢)، هذا الارتباط الذي بلغ من شدته وأصالته أن ذهب البعض إلى أن من أسس مدينة كومبي صالح هم البيض الشماليون أي البربر(١٨٣).

وأما في محيط السودان الغربي فقد ارتبطت كومبي صالح بمختلف المراكز والمحطات التجارية، ومن ذلك ما أشار إليه تاديوش ليويسكي(Tadeusz Lewicki) من ارتباط تجاري وثيق بين كومبي صالح ومدينة تادمكة أو السوق كما اشتهرت، وهي علاقة أو ارتباط يعبر عن النشاط التجاري الكبير الذي شهدته المدينتان(١٨٤).

وتشير هذه الارتباطات الواسعة لمجالات التجارة الخارجية لمدينة كومبي صالح، ولاسيما مع المناطق الأكثر بعدًا ناحية الجنوب إلى سيطرة المدينة على تجارة السلع المهمة، ولاسيما الذهب المتوافر بكثرة في تلك الجهات. وكثرة التبر في أسواق غانة لاتصالها ببلاد التبر، فمنها

يدخل التجار إلى تلك الجهات[١٨٥]، كما كانت الكثير من بلاد التبر المشهورة في جنوب الصحراء تحت سيادة صاحب غانة، وكان من أشهرها سمغارة[١٨٦] وغيارو[١٨٧]، ولذا صور ملك غانة وكافة ملوك السودان من بعده لدى الرحالة الأوروبيين وكأنهم المتحكمون دون غيرهم في معدن الذهب في تلك الجهات[١٨٨].

وفي جنوب الصحراء سيطر ملك غانة على مساحة كبيرة من الأرض في غربي أفريقيا، وقد حددت لنا المصادر العربية كافة الجهات التي كانت تابعة لملك غانة، والتي يقع على عاتقه حمايتها، فيشير كل من البكري والإدريسي إلى حدود غانة من جهاتها الأربعة، كما عددا المدن الكبيرة المرتبطة بكومبي صالح والمسافات التي تفصلها عن تلك المدن، وأشار كليهما إلى غنى تلك الجهات بكثير من الموارد الزراعية والمعدنية، والتي يأتي في مقدمتها معدن الذهب[١٨٩].

هذا إلى جانب العلاقات الاقتصادية الوثيقة التي ربطت مملكة غانة بالمناطق الجنوبية التي وُصفت بوفرة الذهب وجودته، تلك الجهات التي لم يكشف عنها تجار غانة لأحد من التجار القادمين من شمال الصحراء، وعلى الجانب الآخر لم يعرف سكان المناطق الجنوبية من التجار سوي أهل غانة، فصارت كلمة غانة أو ونقارا عندهم مرادفة لكلمة تاجر[١٩٠].

ويري ويدنر (Weidner) أن ثراء غانة على هذا النحو كان له سبب آخر غير اتساع أراضيها وتحكمها في تجارة الذهب، وهو سيطرتها على الطرق الرئيسة للتجارة بين شمال الصحراء وجنوبها[١٩١]. والراجح أن تلك الرغبة في الإشراف على التجارة العابرة للصحراء هو ما دفع ملوك غانة بالأساس للتوسع في كافة الاتجاهات منذ القرن الثاني الميلادي، فتوسعوا جنوبًا لتأمين موارد أكبر من الذهب، وفي الجهات الثلاث الأخرى لإحكام السيطرة على طرق التجارة، لاسيما تلك المتجهة ناحية الشمال[١٩٢].

وعليه صارت كومبي صالح هي المحطة التجارية الأبرز في تجارة الذهب على ضفتي الصحراء، فأغلب الطرق التجارية إما تخرج منها أو تنتهي إليها، وذلك بفضل التوسعات التي حققها ملوك غانة، والتي بلغت ذروتها في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين[١٩٣].

ولكن لا يمكن أن نغفل ارتباط هذا النشاط بالتحولات السياسية في شمال الصحراء التي أدت إلى زيادة الطلب على ذهب السودان الغربي، فقد أدى تحول النفوذ والقوة السياسية نحو

فاس والأندلس مقابل انتقال الفاطميين إلى مصر أن أصبح طريق سجلماسة[١٩٤] غانة هو الطريق الأكثر أهمية بين الطرق الصحراوية من حيث كمية الذهب المنقولة عبره، وصار بذلك متفوقًا على طريق ورقلة تادمكة غانة الذي كان ينتهي إلى المغرب الأدنى[١٩٥].

ويتضح مما سبق أن ازدهار كومبي صالح كعاصمة لمملكة غانة، وازدهار غانة ككل كان مبنيًا على تجارة معدن الذهب، ذلك المعدن الذي تمكن ملوك غانة من السيطرة على معظم مصادره في غربي أفريقيا، وذلك إما بعلاقات تجارية أو سيادة على الأرض. ولكنّ الحقيقة الأخرى المرتبطة بغانة وتجارة الذهب أن هذا المعدن كان سببًا فى أن صارت مملكة غانة مطمعا للقوى المجاورة لها، لدرجة أن هناك من ذهب إلى سقوط غانة على أيدي المرابطين خلال القرن الخامس للهجرة[١٩٦]. وهذا زعم خاطئ نفته الدراسات الحديثة التي أُجريت حول تاريخ المنطقة، فأكدت أن أقصى ما وصل إليه المرابطون هو أودغست التي استخلصوها من أيدي ملوك غانة عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م[١٩٧]. كما حافظوا في الوقت ذاته على علاقات ودية مع مملكة غانة حفاظًا على حركة التجارة العابرة للصحراء[١٩٨]، دل على ذلك ما ذكره صاحب الاستبصار من أمر المراسلات التي جرت بين ملوك غانة وأمراء المرابطين في بلاد المغرب[١٩٩].

ولكن في الوقت نفسه لم تعد أرض الذهب خارج حدود غانة والطرق الموصلة إليها سرًا مقصورًا على أهل غانة وحدهم، وإنما شاركهم فيه التجار الوافدون. فقد أشار ياقوت الحموي المتوفي عام(٦٢٦هـ/١٢٢٨م) أنه كان من عادة التجار الذين يفدون إلى أرض غانة أن يمروا بأسواقها، ويستريحون في خاناتها قبل مواصلة المسير نحو أرض التبر، وفي غانة لا يتزود التجار بالطعام والشراب فحسب، وإنما يصطحبون معهم الأدلاء، والسماسرة ليساعدوهم في معرفة الطريق، وفي عقد معاملاتهم التجارية مع أصحاب أرض التبر[٢٠٠].

وتبين الحفائر الآثارية التي أجريت في موقع المدينة الأهمية الكبيرة للتجارة في كومبي صالح فقد تم العثور على عدة تحصينات قوية للدفاع عن المدينة، وكانت معظم تلك التحصينات على الطرق الرئيسة المؤدية إلى قلب المدينة[٢٠١]. ويدل ذلك على أمرين، الأول منهما هو الرواج التجاري الكبير الذي شهدته المدينة آنذاك، وثانيهما هو تعرض المدينة لبعض الاعتداءات من قبل قطاع الطرق، مما حمل ملوك غانة على تحصينها، ويظهر ذلك بوضوح باستعراض أحوال أسواق كومبي صالح من خلال الصادر من بضائعها والوارد إليه.

أ- صادرات مدينة كومبي صالح

الذهب: وُصفت غانة بأنها بلاد كثيرة الذهب[٢٠٢]، بل هي على حد وصف الهمداني المتوفي عام(٣٤٥هـ/٩٥٦م) أكثر مناطق المعمور إنتاجا للذهب[٢٠٣]، فالذهب من أشهر السلع التي عرفتها مدينة كومبي صالح، ولعل مرد ذلك هو قربها من مناطق إنتاجه، كما أن غانة نفسها من المناطق التي كان يكثر فيها الذهب، فقد وصفت المصادر الذهب في غانة، وكأنه نبات ينبت في الأرض ويقطف كل صباح عند شروق الشمس[٢٠٤]. كما يظهر التبر في الرمال التي ينحصر عنها الماء في البحيرات يراه الأهالي في الليل فيجمعونه[٢٠٥]، فعرفت أشهر بحيرات غانة ببحيرة التبر[٢٠٦]. ولعل هذا هو الذي دفع البعض لوصف ملك غانة أنه أغنى مَن على وجه الأرض بما لديه من الأموال المدخرة من التبر[٢٠٧]. وإن قل فيها الذهب لكونه من الموارد غير المتجددة، فإن غانة هي المدخل إلى غيرها من المناطق التي يكثر بها معدن الذهب[٢٠٨]، ولولاها لتعذر دخول التجار إلى تلك المناطق، فمن أسواق غانة يتزودون لدخول أرض التبر[٢٠٩].

وبلغ من كثرة الذهب في غانة وأسواقها، ولاسيما كومبي صالح أن أصبح تأثيرها على البلدان المجاورة لها كبيرًا، فيوصف أهل سجلماسة أنهم أغنى الناس وأكثرهم مالًا، والسبب في ذلك كما أوردته المصادر أنهم على طريق غانة التي يكثر بها معدن الذهب، ولأن أهلها كانوا كثيري التردد على أسواقها[٢١٠]، بل نجد الوزان المتوفي(٩٥٧هـ/١٥٥٠م) يُرجع سبب ثراء أهل سجلماسة إلى تجارتهم مع بلاد السودان[٢١١].

وإذا كان هذا هو حال سجلماسة، فالأوضاع في أودغست تتعدي ذلك بكثير، ففي أودغست يكثر التبر، وهو مناط معاملاتهم وتجارتهم لا يتعاملون بشيء سواه. ومن أودغست يجلب الذهب الإبريز الخالص خيوطًا مفتولة[٢١٢].

ويرى الباحث أن التبر وإن كان كثيرًا في سوق كومبي صالح وغيرها من المناطق المجاورة لمملكة غانة جنوبًا، فإن أهل تلك البلاد باعوا ذلك التبر كمادة خام في مقابل الحصول على الملح وغيره من السلع القادمة إليهم من أسواق الصحراء وشمال أفريقيا، وأن هذا التبر وجد طريقة إلى التصنيع الدقيق في ورش سجلماسة وأودغست، وحسبنا في ذلك ما أشار إليه البكري من كثرة الذهب في أسواقهما، ومن تلك الأسواق يخرج الذهب في صورة خيوط مفتولة تستخدم في التصنيع[٢١٣].

وتزودنا المصادر الجغرافية بدليل على ذلك ألا وهو العملة التي يتعاملون بها في البيع والشراء، إذ تعرف تلك العملة بالصلع؛ وذلك لكونهم لا يعرفون سكها، وإنما يستعملونها ذهبًا محض غير مختوم(٢١٤).

ولم يقف ذهب غانة عند حد سجلماسة وأودغست، بل عرف طريقه إلى أسواق بلاد المغرب الإسلامي منذ وقت مبكر يرجع للقرنين السادس والسابع الميلاديين، ولا سيما المغرب الأقصى وإفريقية(٢١٥)، بل تعدى تأثير ذهب السودان الغربي شمال أفريقيا ووصل إلى الأندلس، فيؤكد لويس لومبارد على أن هذا الذهب صار في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي – أوج ازدهار غانة–هو أحد أهم ركائز الحضارة الأندلسية(٢١٦).

وشهدت تلك التجارة نشاطًا كبيرًا مع وصول العرب إلى تلك الجهات، وتشير الأدلة الآثارية إلى أن العرب قد تركوا تأثيرًا كبيرًا على تجارة الذهب وكذلك على العملة المستخدمة سواء أكان ذلك على صعيد المسميات أم على صعيد الأوزان والمقاييس التي استخدمها سكان غانة(٢١٧).

وكان لتجارة الذهب أثر كبير على وضعية كومبي صالح عاصمة مملكة غانة، فقد ارتبطت المدينة بعلاقات تجارية واسعة سواء مع مناطق إنتاج الذهب في الجنوب أم مع أسواقه في مدن شمال الصحراء المطلة على البحر المتوسط. وإذا ما نظرنا في هذه العلاقات وجدنا أنها علاقات طبيعية ربطت المدينة التجارية الكبيرة، والمسيطرة على تجارة الذهب بمحيطها الجغرافي. أما الجديد في الأمر والذي أكدته الدراسات الآثارية هو علاقاتها فيما وراء الظهير الجغرافي، وهو ما عبر عنه تشارلز فيرليندن(Charles Verlinden) في مراجعته لكتاب موني ريموند(Mauny Raymond) حول تاريخ غرب أفريقيا في العصور الوسطي؛ حيث أشار إلى أن المعرفة بتاريخ غرب أفريقيا تبدو أكثر أهمية لفهم الاقتصاد المتوسطي والأيبيري في أوائل العصور الوسطى وحتى بداية العصر الحديث(٢١٨).

ولكنَّ الأمر لم يقتصر بحال من الأحوال على اقتصاد الأندلس فحسب؛ إذ يربط رونالد ميسيير (Ronald Messier) بين العملة الذهبية في حوض البحر المتوسط وذهب غانة، الذي يبدو أنه تدفق بكثرة على أسواق حوض البحر المتوسط؛ إذ أصبح هناك طريق تجاري رئيس يربط كومبي صالح عاصمة غانة بمدينة فاس في المغرب الأقصى، وعدة نقاط أخري على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، مما يؤكد على تداول هذا الذهب داخل إمبراطورية المرابطين

نفسها، وكذلك في جنوب أوروبا، وفي مصر[٢١٩]، بل أكد آخرون استخدام الذهب السوداني في الشرق الأقصى[٢٢٠].

وقد استخدم ذلك الذهب في صناعة العملة في العديد من الممالك الأوروبية، أو استخدمت تلك الممالك العملة المرابطية؛ نظرًا لجودتها العالية[٢٢١]، ونجد صدي ذلك في الرسائل المتبادلة بين الممالك النصرانية في حوض البحر المتوسط، وحتى في الممالك الإسلامية[٢٢٢]. وهذه العملة التي ذاع صيتها سُكت بالأساس من ذهب غانة[٢٢٣].

ولعل مرد هذا الاستخدام الواسع للذهب القادم من غانة في صناعة العملة في بلدان حوض البحر المتوسط أنه من أفضل أنواع الذهب في العالم، وأفضله الذهب المستخرج من مدينة غيارو[٢٢٤]، فضلًا عن أهم منطقتين لإنتاج الذهب في غانا وهما بامبوك(Bambuk) وبوري(Bure)[٢٢٥].

الرقيق:

يمثل الرقيق بالنسبة لإقليم السودان الغربي سلعة ذات أهمية كبيرة لا تقل في أهميتها عن الذهب. وبطبيعة الحال لا توفر تقارير الحفائر الآثارية أية أشارات حول تجارة الرقيق؛ إذ لم تترك تلك التجارة تأثيرات واضحة أو أدلة ملموسة على الأرض، وجل ما قدمته الدراسات الأركيولوجية كان مرتبطًا بالتبعات الديموغرافية لتلك التجارة على مستوى الإقليم[٢٢٦]، ولذا فالإشارات المصدرية هي الأساس في معرفتنا لطبيعة تلك التجارة، فألمح البكري إلى كثرة أعداد الرقيق في بلاد السودان أجمع، فالرجل منهم يملك ألف خادم وأكثر[٢٢٧]، ورغم ضخامة العدد الذي فيه قدر من المبالغة إلا أنه يشير إلى رواج تلك التجارة في بلاد السودان، ويؤكد ذلك ما ذكرة الإدريسي من أن تجار المغرب الأقصى يقصدون بلاد السودان بالصوف والنحاس والخرز ويعودون منه محملين بالتبر والخدم[٢٢٨].

ويشير جوزيت ريفالين(Josette Rivallain) إلى أن تجارة الرقيق السوداني قديمة ومتجذرة عبر الصحراء حتى أضحت تمثل جانبًا مهمًا من اقتصاد بلاد المغرب[٢٢٩]، ومن ثمَّ تزايدت حركة التجار عبر الصحراء لشراء الرقيق السوداني، يدفعهم في ذلك الطلب المتزايد على شرائهم في المناطق الشمالية[٢٣٠].

وهذا الطلب المتزايد على رقيق السودان يؤكد على ما تمتع به أولئك الرقيق من قوة جسمانية وقدرة كبيرة على العمل[٢٣١]، وحسبنا هنا شهادة البكري، ولاسيما في حق النساء

السودانيات وبراعتهن في العمل وبخاصة الطبخ، كما قيل في سود غانة أنهن سالمات من الصفات المذمومة التي تتصف بها غيرهن من النساء السوداوات[٢٣٢]. ويفسر ذلك إقبال التجار على شرائهن، والمغالاة في أثمانهن؛ فقد بيعت الواحدة منهن بمائة مثقال وأكثر[٢٣٣]. أما الرجال الذين اتصفوا بالقوة الجسمانية فقد استخدم الجانب الأكبر منهم كجنود، فضلا عن العمل كخدم في المنازل[٢٣٤]، كما لم تمنعهم العبودية من شغل وظائف إدارية وسياسية[٢٣٥].

وقد لعبت غانة دور الوسيط التجاري في تجارة الرقيق بين الشمال والجنوب[٢٣٦]، إذ توافرت في مملكة غانة أعداد كبيرة من الرقيق، ومن ثمَّ دخل الرقيق في إطار التبادل التجاري، فأضحى من أهم صادرات أسواق كومبي صالح. ووفقًا للنصوص المصدرية فموارد الرقيق في غانة معلومة؛ إذ يخبرنا صاحب النزهة أن أهل غانة كانوا يغيرون على المناطق المجاورة لهم[٢٣٧] ويجلبون الرقيق الذي يبيعونه للتجار الوافدين من مختلف الأقطار[٢٣٨].

ولم يكن كل الرقيق الذي بِيع للتجار قد جاء عبر الحرب والأسر، فوفقًا لبعض الدراسات الأنثروبولوجية التى أُجريت في غربي أفريقيا جنوب الصحراء وجد أن البيع الطوعي للأولاد، وكذلك الخطف والخداع من جانب بعض المقربين إلى من تم بيعهم في أسواق الرقيق شائعًا في تلك المنطقة[٢٣٩].

وكانت الوجهة الأولي التي قصدها تجار الرقيق بعد خروجهم من غانة نحو الشمال هي أودغست، فامتلك سكانها أعدادًا كبيرة من الرقيق[٢٤٠]، استخدموهم في القطاعين الزراعي والحرفي، غير أن أودغست لم تستوعب كل الرقيق القادمين من غانة، فصدّرت الفائض عن حاجتها إلى بلاد المغرب[٢٤١].

وكما هو الحال في أودغست لم يستقر كل الرقيق الذي جُلب من بلاد السودان في بلاد المغرب، فقد كانت منطقة شمال أفريقيا محطة من محطات توريد الرقيق إلى جهات أخري عبر البحر المتوسط[٢٤٢]، وكانت مدينة طرابلس في بلاد المغرب الأدنى هي المحطة الرئيسة التي تنتهي إليها عدة طرق صحراوية، وكان الرقيق هو أكثر السلع رواجًا في أسواق المدينة[٢٤٣]. يؤكد على ذلك وجود أعداد كبيرة من الرقيق السود في بلاد الأندلس، كانوا يعملون كجنود أو خدم في المنازل، وبعضهم كان حرفيًا[٢٤٤]. وتؤكد النصوص المصدرية ذلك فيما ورد في إحدى روايات بناء سجلماسة، إذ تشير بعض النصوص إلى أن من بناها يدعى مدرارًا كان أسود اللون يعمل حدادًا، قد جاء من الأندلس من ربضة قرطبة[٢٤٥]. ولكنّ البكري أشار إلى

ضعف تلك الرواية، وذكر أن المدينة بُنيت في سنه ١٤٠هـ/٧٥٧م، وأن أول حكامها كان عيسى بن مزيد الأسود، وهو من السودان أيضًا(٢٤٦).

وعلى هذا النحو صار الذهب والرقيق هما السلعتان الرئيستان في صادرات مملكة غانة، ويؤكد ماكدوجال(McDougall) على أنهما (أي الذهب والرقيق) أصبحا هما شريان الحياة عبر الصحراء، بل كانا مصدر ثروة العديد من التجار والأثرياء، وبخاصة في بلاد المغرب(٢٤٧).

ب- واردات مدينة كومبي صالح

استقبلت أسواق كومبي صالح في مقابل صادراتها المهمة العديد من السلع التي لا تقل في أهميتها لدي شعب مملكة غانة والشعوب المجاورة له جهة الجنوب عن الذهب والرقيق، على نحو ما سنعرض في هذه النقطة من الدراسة.

الملح

كان للملح أهمية كبيرة في بلاد السودان الغربي، فأهل السودان كانوا في حاجة ملحة له حتى أنهم لم يتخلوا عن ذهبهم إلا في سبيل الحصول على الملح(٢٤٨)، ولذا صار الملح من أهم البضائع الواردة إلى أسواق كومبي صالح وعموم مملكة غانة، فحاجتهم إليه ماسة، ولذا كانت أسعاره غالية جدًا في بلاد السودان، حيث وصل ثمن الحمل الواحد من الملح لنحو ثلاثمائة دينار(٢٤٩). و كان الملح يوجد بكثرة في الصحراء التي تفصل بين بلاد المغرب وغانة التي تسمى بصحراء لمتونة، كانوا يحفرون عليه كما يحفرون على ما سواه من المعادن(٢٥٠).

وتعتبر ملاحات أوليل(٢٥١) أهم مصدر للملح بالنسبة لمملكة غانة، ولعبت أودغست دورًا بارزًا كوسيط تجاري لتجارة الملح بين كومبي صالح وأوليل(٢٥٢)، واستمرت تلعب هذا لفترة طويلة حتى ظهر معدن الملح في مناطق أخري أهمها تغازا التي أمدت غانة بكميات كبيرة منه(٢٥٣).

وتؤكد الأدلة الآثارية التي عثر عليها في أطلال تغازا على نشاط كبير لتجارة الملح في الموقع، ومن أهم تلك الأدلة المباني التي بنيت من ألواح الملح(٢٥٤)، مما يؤكد على ضخامة إنتاج الملح في المنطقة، وكذلك ما عثر عليه من بقايا الفخار المزجج المطلي وبعض الأدوات النحاسية واللآلئ التي يرجح أنها استُخدمت في مبادلات الملح، كما عثر على آثار لكثير من

الحفر يعتقد أنها أماكن استخراج ألواح الملح[٢٥٥]. ومع ضخامة الإنتاج في تغازا ضعف اعتماد غانة على ملح أوليل الذي تحولت تجارته نحو حوض نهر السنغال الأوسط[٢٥٦].

الأحجار الكريمة

يوجد في الصحراء التي تلي بلاد السودان إلى الشمال مواضع لمعدن من الحجارة يشبة العقيق وليس بعقيق، والحجر الواحد منه به ألوان مختلفة تتدرج من الحمرة إلى الصفرة إلى البياض، وتعد هذه الحجارة من النفائس التي تحمل إلى أسواق غانة، فإذا ما وصل إلى أسواقها بذلوا في سبيله كل غالٍ ونفيس. ويستخدم هذا الحجر كغيره من الأحجار الكريمة في صنع أدوات الزينة[٢٥٧].

الفخار

كان الفخار من أهم السلع الواردة إلى أسواق غانة، وقد عثر الأثاريون على العديد من قطع الفخار في موقع مدينة كومبي صالح، ويعتقد أن غالبية ذلك الفخار قد جلب إلى المدينة من أسواق شمال أفريقيا[٢٥٨]؛ حيث يحمل الكثير منها طابعًا إسلاميًا بينته النقوش[٢٥٩]. وتظهر الحفائر الآثارية أن السكان في غانة قد عرفوا أساليب متطورة في الزخارف؛ حيث عثروا في حفائرهم على أنواع من الفخار المزجج، ولم تقف الزخارف عند حد الفخار، وإنما عثروا كذلك على الكثير من الأساور دقيقة الصنع متعددة الأشكال[٢٦٠].

الخرز الزجاجي

عثر على الخرز في كثير من المواقع في أفريقيا جنوب الصحراء، وأشار علماء الآثار من خلال بعض التحليلات التي أجروها على بعض العينات قدم استخدام الخرز الزجاجي في أفريقيا، والذي استُخدم بالأساس للزينة الشخصية، كما دخل بعضه في المبادلات التجارية[٢٦١]. أما في كومبي صالح فقد أظهرت الحفائر الآثارية وجود الكثير من حبات الخرز الزجاجي بعدة ألوان منها، الأزرق والأصفر والأحمر، وبعضها تتداخل فيها عدة ألوان(شكل: ٥). وأكدت تحليلات الكربون المشع والأشعة السينية أن هذا الخرز قد وصل أسواق كومبي صالح أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[٢٦٢].

أما عن مصادر الخرز الذي عثر عليه في كومبي صالح، فقد أكدت نتائج الحفر وتحليلات الكربون المشع والأشعة السينية التى أجريت عليه أن مصادره متعددة، فمنه ما هو قادم من

مصر، ومنه ما هو قادم من المحيط الهندي في إطار تجارة الرياح الموسمية[٢٦٣]، وعرفت تجارة الخرز في إطار تلك التجارة بحبات الرياح(wind beads)[٢٦٤]. وعلى الصعيد الإقليمي كشفت الحفائر عن وجود بقايا مصنع للخرز الملون في منطقة إيفي(Ife)[٢٦٥] في نيجيريا، وأن الخرز المصنع هناك كان يصدر جزء منه إلى كومبي صالح[٢٦٦]، كما أكد الآثاريون أن بعض الخرز الذي عثر عليه كان محلي الصنع[٢٦٧].

النحاس

كان **النحاس** الأحمر من أهم الواردات التي استقبلتها أسواق كومبي صالح، فقد أكدت الحفائر الآثارية في مناطق عدة جنوب الصحراء ضآلة إنتاج المنطقة من النحاس مقارنة بالحديد، وهذا يعني أن المنطقة استقبلت الكم الأكبر من استهلاكها من النحاس من الخارج[٢٦٨]. فقد تلقت أسواق كومبي صالح كميات كبيرة من النحاس والملح من أودغست التي حصلت في المقابل على الذهب الغاني[٢٦٩]. هذا وقد أشار الإدريسي إلى المصدر الرئيس لأحمال النحاس التي كانت تصل إلى أودغست فذكر أنها كانت تأتي من مدينة أغمات[٢٧٠].

وتشير تقارير الحفائر الآثارية إلى أن أودغست كانت أهم مركز لصناعة النحاس[٢٧١] الذي يرجح أنه كان يجلب إليها من أغمات[٢٧٢]، وذلك إلى أن حلت محلها كومبي صالح التي أمدت محيطها بمعدن النحاس، إذ تشير تقارير الحفائر الآثارية إلى تدمير الحي الصناعي في أودغست في أعقاب سيطرة المرابطين على المدينة ٤٤٦/١٠٥٤م[٢٧٣]. وتبرز هنا أهمية الدليل الأثري، فمن أهم الأدلة على قيام كومبي صالح بهذا الدور المهم ما عثر عليه في الحفائر التي أجريت في الحوض الأوسط لنهر السنغال، حيث عثر على كميات كبيرة من النحاس المصنع، وعثر على ذات النحاس في مواقع بالقرب من كومبي صالح[٢٧٤].

وهذا يؤكد على أن كومبي صالح قد لعبت دور الوسيط التجاري بين شمال الصحراء ومحيطها الجغرافي في جنوب الصحراء؛ إذ لم تتوقف وارداتها على حد استهلاكها فحسب، وإنما صُدّر الفائض إلى المناطق المجاورة لها حتى وإن كانت خارج سيادة مملكة غانة آنذاك[٢٧٥]

الخزف

لم تقدم المصادر المتاحة التي تحدثت عن مملكة غانة وحاضرتها كومبي صالح أية إشارات عن الخزف، وفي ظل صمت المصادر تأتي أهمية نتائج الحفائر الآثارية في الحديث عن صناعة الخزف وتجارته عبر الصحراء.

بداية أكدت الحفائر الآثارية وجود خزف مستورد من سواحل البحر المتوسط في مواقع مدينة كومبي صالح. ولكن جاء الخزف في مرتبة متأخرة في قائمة واردات كومبي صالح؛ ولعل السبب في ذلك أمران: الأول منهما أن مدينة كومبي صالح شهدت نهضة كبيرة في صناعة الخزف وزخرفته، وأما الأمر الآخر فيرتبط بطبيعة الخزف كسلعة ذات حساسية كبيرة، فقد تتعرض أحمال الخزف للتلف أثناء تلك الرحلة الصحراوية الطويلة، مما يترتب عليه خسائر كبيرة للتجار. ولكن رغم ذلك فقد حمل التجار كميات كبيرة من الخزف، وراعى التجار فيما يحملونه من خزف أن يكون من القطع صغيرة الحجم التي لا تتعرض للكسر بسرعة، وهذه المخاطرة الكبيرة التي أقدم عليها التجار تشير إلى أهمية الخزف بين المنتجات الواردة إلى أسواق كومبي صالح، كما تؤكد عدم كفاية ما يُنتج فيها من خزف لتغطية حاجات السكان، ولا سيما السكان ذوي الأصول الشمالية الذين استوطنوها(٢٧٦).

واردات أخري

استوردت غانة عبر أودغست وسجلماسة سلعًا أخري امتلأت بها أسواق كومبي صالح، منها الفواكه المجففة والقمح والعنبر والملح(٢٧٧)، هذا فضلًا عن الودع والمسابح وأدوات الزينة، والملابس والعمائم واللؤلؤ والعطور، كما تلقت أسواق المدينة كميات من القمح والشعير(٢٧٨).

ويدعم هذا التبادل التجاري الكبير بين غانة –كومبي صالح– ومناطق شمال الصحراء والمحيط الجغرافي لمملكة غانة الأهمية الاقتصادية التي حظيت بها المدينة، كما أن وصول كل تلك المنتجات إلى أسواق كومبي صالح يفسر تزايد الطلب على ذهب السودان الغربي، وهو ما دفع التجار للبحث عن العديد من السلع التي صار الطلب عليها كبيرًا في أسواق كومبي صالح في ظل استقرار أعداد كبيرة من التجار الشماليين في الجنوب وظهور طبقة من الأثرياء، مما أعان في تطور ورقي كبير شهدته المدينة(٢٧٩).

جـ- الضرائب

ليست لدينا الكثير من المعلومات حول الضرائب في كومبي صالح، غير أن هذا الرواج الاقتصادي الكبير الذي شهدته المدينة دفع بلا ريب ملوك غانة إلى محاولة تنظيم العمل الاقتصادي لتحقيق أكبر قدر من المكاسب، ولا سيما من التجارة، ومن ثمَّ قاموا بفرض قدرٍ من الضرائب على السلع المهمة التي راجت في أسواق المملكة(٢٨٠). ويعطي لنا البكري صورة واضحة للسلع التي فُرضت عليها الضرائب، وكذلك قيمة الضريبة التي فُرضت على تلك السلع، فيذكر أن الضرائب فرضت على الملح والنحاس، ففرض على الملح دينار لكل حمل يدخل المملكة، ودينارن عند خروجه منها إلى المناطق المجاورة لغانة جهة الجنوب، وأما النحاس ففرضوا على كل حمل منه خمسة مثاقيل(٢٨١)، وعشرة مثاقيل على غير ذلك من البضائع(٢٨٢).

وعلى هذا النحو أضحت التجارة من المجالات المهمة في اقتصاد غانة، وعليه فقد تم تنظيم العمل التجاري من الجانب المالي تنظيما جيدًا أشرف عليه بعض المسلمين ممن كانت لديهم خبرات بالشئون المالية، وصارت تفرض ضرائب على السلع الوادرة والصادرة بأسواق كومبي صالح وغيرها(٢٨٣).

سابعًا- عمارة مدينة كومبي صالح وأثرها على المناطق المجاورة جنوب الصحراء

كشفت الحفائر الآثارية عن تقدم العمارة وأساليب البناء في أفريقيا جنوب الصحراء، وأن المنطقة لم تكن خلوًا من التمدن، والجدير بالذكر أن الأثاريين أشاروا كذلك إلى أن انتشار الإسلام في تلك الجهات ألقى بظلاله على الجوانب المعمارية، كما أن وجود العرب في المنطقة أسس تدريجيًا لرقي كومبي صالح وغيرها من المدن حضاريًا(٢٨٤).

أما كومبي صالح فقد حظيت بنمط معماري مميز برزت فيه المؤثرات المغاربية، فجدران المباني كانت من ألواح الحجر الشست القوية، تتخللها النوافذ المزخرفة بزخارف هندسية(٢٨٥)، وكذلك بعض النقوش العربية والزخارف النباتية بألوان مختلفة(٢٨٦).

ويكشف هذا النمط المعماري عن التأثيرات الإسلامية التي أدخلت إلى كومبي صالح في ركاب الوافدين من الشمال(٢٨٧)، سواء من العرب أم من البربر(٢٨٨). والراجح أن تلك التأثيرات قدم أغلبها من أودغست(Awdaghast) التي لعب ملوكها دورًا كبيرًا في انتشار الإسلام في مملكة غانة(٢٨٩). ولذا كان من أهم نتائج الحفائر في موقع كومبي صالح وجود تشابه كبير في

عمارة المدينة، وتقسيم شوارعها مع المدن المجاورة لها جهة الشمال(٢٩٠). كما أشار الأثاريون كذلك إلى أن عمارة المدينة قريبة جدًا لما لا يزال موجودًا في مدن جنوب المغرب الأقصى(٢٩١).

ونظرًا للتطور الكبير الذي شهدته مدينة كومبي صالح في الجوانب المعمارية بناء على علاقات هذه المدينة بمدن شمال الصحراء، فقد أثرت في محيطها الجغرافي، فوجدت عدة مدن في السنغال والنيجر تحمل ذات النمط المعماري المتطور(٢٩٢). وإذا ما قلنا أن النمط المعماري لتلك المدن قد قدم من ذات المناطق التي استمدت منها كومبي صالح نمطها المعماري، فإن الحفائر الآثارية قد أكدت على التشابه الكبير بين كومبي صالح ومدينة نياني(Niani) عاصمة إمبراطورية مالي التي ورثت أملاك مملكة غانة وعاصمتها، فوجد في المدينتين وعلى نفس النمط القصر الملكي المحصن، وحيين سكنيين، الأول منهما يقع في الجانب الشرقي من المدينة، ويسكنه السكان المحليون، أما الثاني فيقع في القسم الغربي من المدينة ويسكنه الوافدون(العرب والبربر تحديدًا)، مع اختلاف في نسب التأثير العربي، فهي أقل في نياني عنها في كومبي صالح(٢٩٣).

ثامنًا– سقوط مملكة غانة ونهاية الدور التاريخي لمدينة كومبي صالح بين المصادر المكتوبة والمصادر الآثارية

تشير بعض النصوص المصدرية، يأتي على رأسها ابن أبي زرع الذي أشار إلى وقوع الغزو المرابطي لأراضي مملكة غانة(٢٩٤)، وكذلك ابن خلدون الذي أشار إلى فتح المرابطين لباب الجهاد في السودان، بل زاد على ذلك أنهم فتحوا أجزاء واسعة من بلاد السودان(٢٩٥).

وقد ساير بعض الكتاب المحدثون تلك النصوص، فأشار نيان وهوبكنز إلى سقوط كومبي صالح وفقدانها لأهميتها في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وذلك في أعقاب غزو المرابطون للمدينة سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م)(٢٩٦). ويفهم من كلام نيان أن مدينة كومبي صالح كانت ذات أهمية تجارية كبيرة في جنوب الصحراء؛ حيث تحدث عن انتقال ذلك الثقل التجاري الكبير، ولا سيما في تجارة الذهب إلى مراكز أخري كان أهمها مدينة تكرور، التي صار اسمها بفضل انتقال تجارة ذهب السودان إليها يطلق على مساحة واسعة من بلاد السودان الغربي، فعرفت المنطقة لدي الكثيرين بـ "بلاد التكرور "(٢٩٧).

وفي مقابل تلك الرواية حول الغزو المرابطي لكومبي صالح نجد رواية مغايرة تؤكد على أن ذلك الغزو لم يحدث على الإطلاق. ويدعم هذا الاتجاه نصوص مصدرية أيضًا تؤكد على عدم استقرار أمر الصحراء ووقوع الفتنة والنزاع بين أطراف الحلف الصنهاجي، منها ما ذكره البكري من أن أمرهم غير ملتئم[٢٩٨]، وكذلك ما أشار إليه ابن عذارى من أن أبا بكر بن عمر عاد إلى الصحراء ليثأر من جدالة التي أغارت على إخوانه من لمتونة[٢٩٩]. وإذا ما رجعنا لشهادة ابن خلدون ذاته سنجد أنه يؤكد على عدم استقرار أمر الصحراء مما اضطر أمير المرابطين للعودة إلى الصحراء سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م خشية افتراق كلمة صنهاجة[٣٠٠].

ويتضح مما سبق أن الصراع بين لمتونة وجدالة قد استحوذ على اهتمام الأمير أبي بكر بن عمر خلال الفترة التي قضاها في الصحراء بين عامي ٤٥٣-٤٦٥/١٠٦١-١٠٧٣م دون أن ينتهي إلى حل للنزاع بين القبيلتين[٣٠١].

ويقدم لنا الدكتور أحمد الشكري دليلاً آخر على عدم وقوع الغزو المرابطي لكومبي صالح، وهو الضغط الذي كان يواجه أبي بكر بن عمر في بلاد المغرب الأقصى من قبل يوسف بن تاشفين الذي استخلفه قبل أن يعود إلى الصحراء، فقد استبد يوسف بأمر المغرب، بل سعى لاستقطاب زعماء لمتونة حتى أولئك الذين رحلوا في ركاب أميرهم أبي بكر بن عمر إلى الصحراء مما يعنى أن الأخير قد فقد قوته في الصحراء[٣٠٢]، فكيف يتأتى إذن لابن عمر وهو على هذا الحال أن يغزو غانة؟[٣٠٣].

وينفي بوفيل(Bovil) ومحمد الغربي كذلك حدوث الغزو المرابطي لغانة، ويبنيا فكرتهما هذه على خلفية أن وجهة المرابطين وخططهم في ظل قيادتهم الجديدة خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي صارت تجاه بلاد المغرب لا إلى الصحراء[٣٠٤].

ويؤكد الدكتور حسين مراد على أن الصراع بين غانة والمرابطين وقع فعلًا ولكن حول أحد أهم المحطات التجارية الصحراوية وهى أودغست، ونجح المرابطون في استخلاصها من قبضة ملوك غانة سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م الأمر الذي مكن المرابطين من السيطرة على أهم سلعتين متداولتين في التجارة العابرة للصحراء الملح والذهب[٣٠٥]. كما أن المرابطين دخلوا بعدها في علاقات ودية مع غانة كان من نتاجها انتشار الإسلام على نطاق واسع في غانة، وكذلك للحفاظ على التجارة العابرة للصحراء المهمة للطرفين[٣٠٦].

وأما غانة فكانت تنعم بالحرية والاستقلال، بل وصلت إلى قمة ازدهارها الاقتصادي خلال تلك الفترة، ورغم الاضطرابات السياسية في المنطقة الصحراوية إلا أن تجارتها استمرت مزدهرة مع بلاد المغرب(٣٠٧). وفي الوقت ذاته وبناء على الإشارات المصدرية فإن غانة ظلت مزدهرة حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وأن التجار ظلوا يقصدونها من سائر بلاد المغرب(٣٠٨).

وتأتي هنا قيمة وأهمية الدليل الأثري، فقد توصلت الدراسات والأبحاث الآثارية التي أجريت على البقايا العظمية والمعدنية وغيرهما من اللقى الآثارية التي استخرجت من موقع كومبي صالح أن عمران ذلك الموقع بدأ في القرن الخامس أو على أقصى تقدير الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وأن الاتصال المبكر بين تلك المنطقة ومناطق شمال الصحراء، الذي بدأ في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين أدى إلى نمو وازدهار المنطقة، وظهرت تبعًا لذلك مدينة كومبي صالح التي بلغت ذروة نشاطها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي(٣٠٩). ويتفق هذا مع المعطيات التاريخية التي تؤكد أن الغزو المرابطي لغانة لم يحدث، وأن عاصمتها كومبي صالح ظلت مزدهرة حتى بدايات القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

وفضلًا عن الدليل الأثري من موقع كومبي صالح، فقد أظهرت الحفائر والأدلة الآثارية في موقع نياني أن هذه المدينة بلغت أوج ازدهارها خلال الفترة من القرن السادس إلى التاسع الهجري/الثاني عشر إلى الخامس عشر الميلادي، وأشار البعض إلى استمرارها حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ويُرجح تلك الأدلة أن هذا الازدهار كان مبنيًا على علاقات تجارية كبيرة مع مملكة غانة(٣١٠). وهذا يؤكد على أن الغزو المرابطي لغانة لم يحدث.

ولكن هذا لا ينفي أن ازدهار مدينة كومبي صالح وغناها جعلها مطمعًا لكثير من القوى الخارجية، فتعرضت كومبي صالح على مدار تاريخها الطويل لهزات عنيفة أثرت بلا شك في وظيفتها كمركز تجاري خدم على مدار عدة قرون التجارة على دفتي الصحراء الكبرى إلى أن تلقت الضربة القاصمة على أيدي ملك الصوصو الذي استولى على المدينة سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، وهذا ما ذكره ابن خلدون نفسه نقلًا عن أحد فقهاء غانة يدعى عثمان، التقاه في القاهرة وهو في طريقه لأداء فريضة للحج عام ٧٩٩هـ/١٣٩٦م(٣١١).

ويؤكد بوفيل على النتائج الوخيمة التي أعقبت دخول الصوصو كومبي صالح، إذ رحل عنها عدد كبير من سكانها نحو الشمال إلى مدن أخري مثل أودغست وولاته(Walata)[٣١٢]، ثم ضم الملك سونديانا ملك مالي ما تبقي من مملكة غانة بما فيها كومبي صالح إلى مملكته سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م فخربت المدينة تخريبًا كاملًا وفقدت دورها لصالح مراكز تجارية أخرى[٣١٣]. وهذا أيضًا ما أكده الفقيه الغاني الشيخ عثمان لابن خلدون عندما قابله في القاهرة[٣١٤].

ولا يمكننا في هذا الصدد أن نغفل العوامل الطبيعية، فقد ضرب الجفاف المنطقة بسبب قلة الأمطار، فتحولت بعض أراضيها إلى صحراء تتناقلها الرياح[٣١٥]، هذا فضلًا عن الرعي الجائر الذي مارسه السكان في تلك الأراضي مما أدى إلى تدهور الموقع ورحيل سكانه، وعليه فقد اندثرت المدينة وفقدت دورها التاريخي [٣١٦].

الخاتمة

بعد هذا العرض لتاريخ مدينة كومبي صالح حاضرة مملكة غانة اعتمادًا على نتائج تقارير الحفائر الآثارية خلص الباحث إلى النتائج التالية:

أظهرت الدراسة أن المصادر الإسلامية التي تناولت تاريخ غانة لم تشر صراحة إلى مدينة كومبي صالح، ولا إلى رقيها الحضاري، ودورها المحوري في حركة التجارة بين جنوب الصحراء وشمالها، وهو ما أظهرته وأكدته الأدلة الآثارية التي عُثر عليها في أطلال المدينة.

بينت الدراسة أن تقارير الحفائر الآثارية التي أجريت في أطلال كومبي صالح اتفقت في بعض جوانبها مع ما ورد في المصادر الإسلامية على قلته حول عاصمة غانة، ولا سيما النمط المعماري لها ووجود مسجد جامع تقام فيه صلاة الجمعة.

أكدت الدراسة اعتمادًا على الأدلة الآثارية خطأ ما ورد في بعض المصادر الإسلامية من أن عاصمة غانة مدينتان يفصلهما نهر، فقد تبين أن سكان المدينة حفروا العديد من الأبار في المدينة، كما اعتمدوا على عدد من المنخفضات خزنوا فيها مياه الأمطار.

أظهرت الدراسة مدى التمازج السكاني الذي حظيت به كومبي صالح، وأن هذا التمازج كان على صعيدين اثنين، الأول منهما على صعيد التنوع العرقي، فقد عاش في المدينة البربر والعرب إلى جانب الزنوج. وأما الثاني فكان على مستوى العقيدة، فعاش المسلمون في أواسط الوثنيين، بل تمتعوا باحترام كبير من جانب الحكام والرعية.

بينت الدراسة أن مدينة كومبي صالح كانت العاصمة الاقتصادية لمملكة غانة، وأنها لم تكن مجرد سوق لتبادل السلع والبضائع فحسب، وإنما كانت بمثابة مركز تجاري وصناعي كبير، ترد إليها البضائع من مختلف الجهات ثم يعاد توزيعها إما في صورتها الأولية، وإما بعد تصنيعها.

أكدت الدراسة على تنوع الأنشطة الاقتصادية لدي سكان كومبي صالح، وأن النشاط الحرفي والتصنيع الذي شهدته المدينة كان له الدور الأكبر في نشاط أسواقها وتجارتها في محيطها الجغرافي، ومع مدن شمال الصحراء.

بينت الدراسة أن نمو ونشاط القطاع الحرفي في كومبي صالح ارتبط بالعلاقات الخارجية للمدينة وتبادل الخبرات بين حرفيي كومبي صالح وغيرهم من الحرفيين، ولا سيما في مدينة أودغست التي شهدت هي الأخرى نهضة صناعية كبيرة.

أظهرت الدراسة التطور الكبير في إنتاج الفخار والخزف في كومبي صالح، وأن مرد هذا التطور كان مرتبطا بالأساس بالتطور الاجتماعي والرقي الحضاري لسكان المدينة، والتفاعل بين السكان الأصليين والوافدين.

أظهرت الدراسة أن الذهب رغم أهميته الكبيرة في اقتصاد مملكة غانة، إلا أنه لم يكن وحده مناط الازدهار الاقتصادي ورواج التجارة في أسواق كومبي صالح، وإنما كانت هناك سلعًا أخري على رأسها الرقيق دخلت أيضًا ضمن صادرات المملكة إلى مدن شمال الصحراء.

بينت الدراسة الدور التجاري الكبير لمدينة كومبي صالح، وأن هذا الدور لم يقف عند حد المنتجات التي تميزت بها مملكة غانة كالذهب والرقيق، إنما شملت سلعًا أخري كالنحاس الذي لعبت كومبي صالح دور الوسيط في تجارتها بين مدن شمال الصحراء وجنوبها.

أكدت الدراسة أن كومبي صالح رغم تعدد المحاور والطرق التجارية التي ربطت بين جنوب الصحراء وشمالها، إلا أن طريق كومبي صالح صار هو الطريق الأكثر أهمية بين تلك الطرق؛ حيث يمر عبره الذهب أكثر السلع قيمة في تجارة الصحراء.

أكدت الدراسة بالأدلة الآثارية أن مدينة كومبي صالح شهدت تطورًا كبيرًا في تصنيع المعادن، ولا سيما تلك الصناعات القائمة على معدني الحديد والنحاس. كما أظهرت التأثيرات المغاربية في عمارة مدينة كومبي صالح، وأن المدينة بتراثها المعماري الراقي أثرت في محيطها الجغرافي في منطقة جنوب الصحراء.

أكدت الدراسة من خلال الأدلة الآثارية على قدم انتشار الإسلام في مملكة غانة، والذي يرجع للقرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وهو تاريخ إنشاء أول مسجد في مملكة غانة. كما أكدت على أن الغزو المرابطي لمدينة كومبي صالح لم يحدث، فوفقًا لنتائج الحفائر الأثرية فإن المدينة كانت في أوج ازدهارها خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وأن تدهورها وضعفها إنما جاء في بدايات القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي حين تعرضت لغزو قبائل الصوصو التي بدأت نشاطها مع تراجع دور المرابطين في الصحراء.

الملاحق

أولًا: الخرائط

خريطة (١) حدود مملكة غانة في أوج ازدهارها

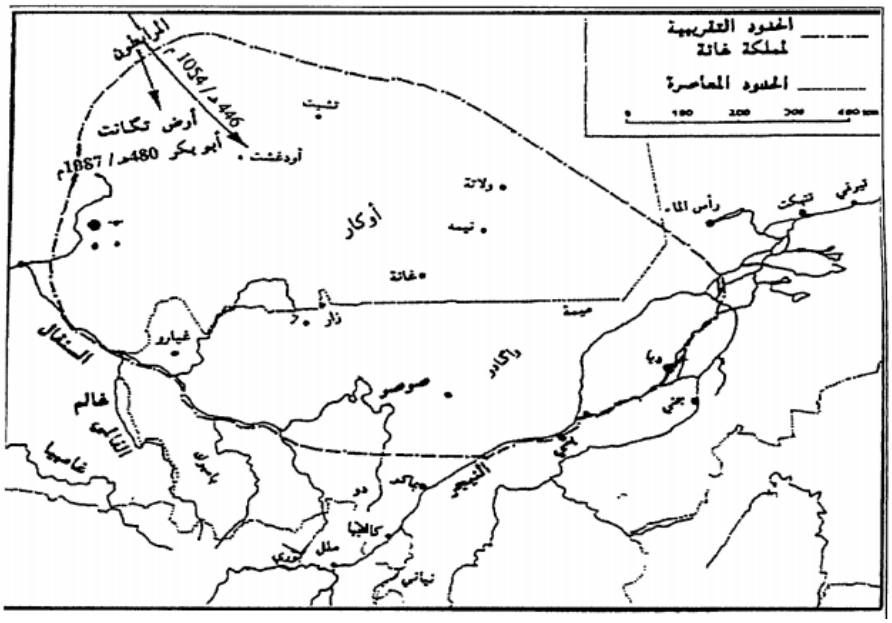

المصدر: أحمد الشكري، مرجع سابق، ص١١١.

خريطة(٢) الموقع الحالي لمدينة كومبي صالح

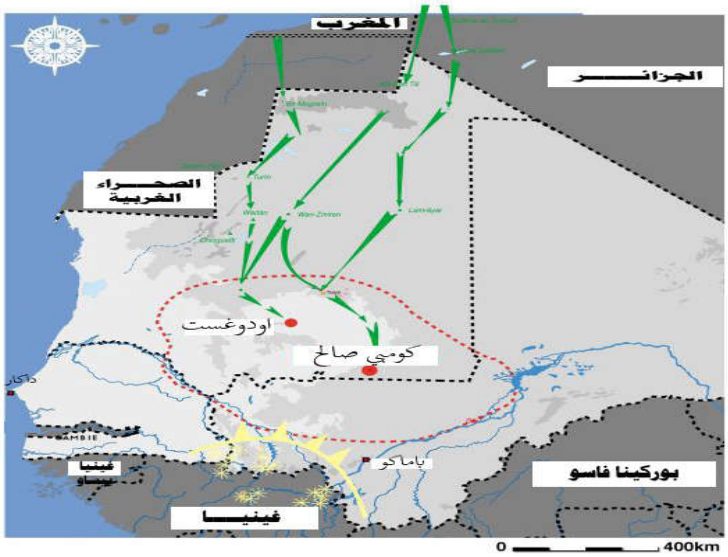

Source: Van Doosselaere, Barbara, Op, Cit., p. 67.

خريطة(٣) طرق التجارة بين غانة وشمال الصحراء

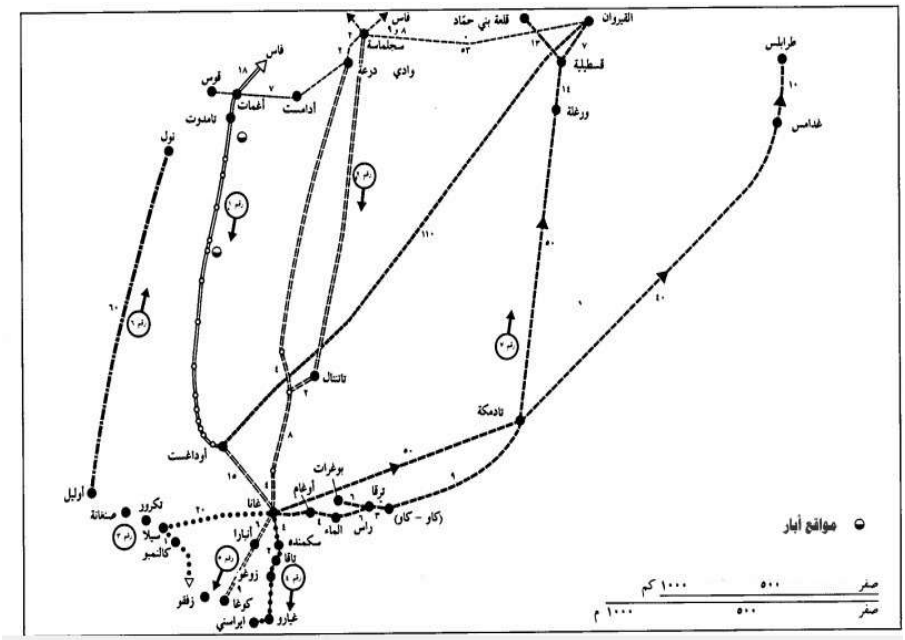

المصدر: دفيس، مرجع سابق، ص٤٤٩.

خريطة (٤)

توضح طريق تصريف الذهب السوداني

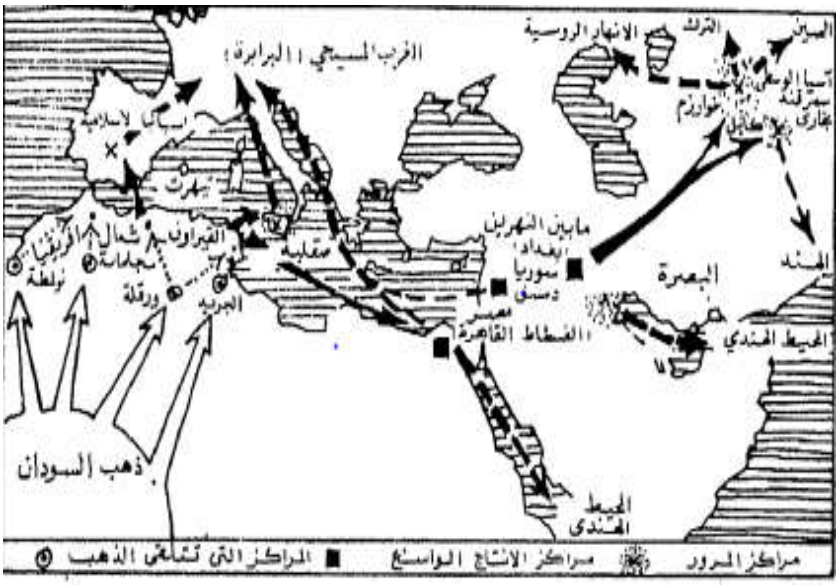

المصدر: موريس لومبارد، مرجع سابق، ص١٧٩.

خريطة(٥)

أهم مواقع إنتاج الذهب التابعة لمملكة غانة

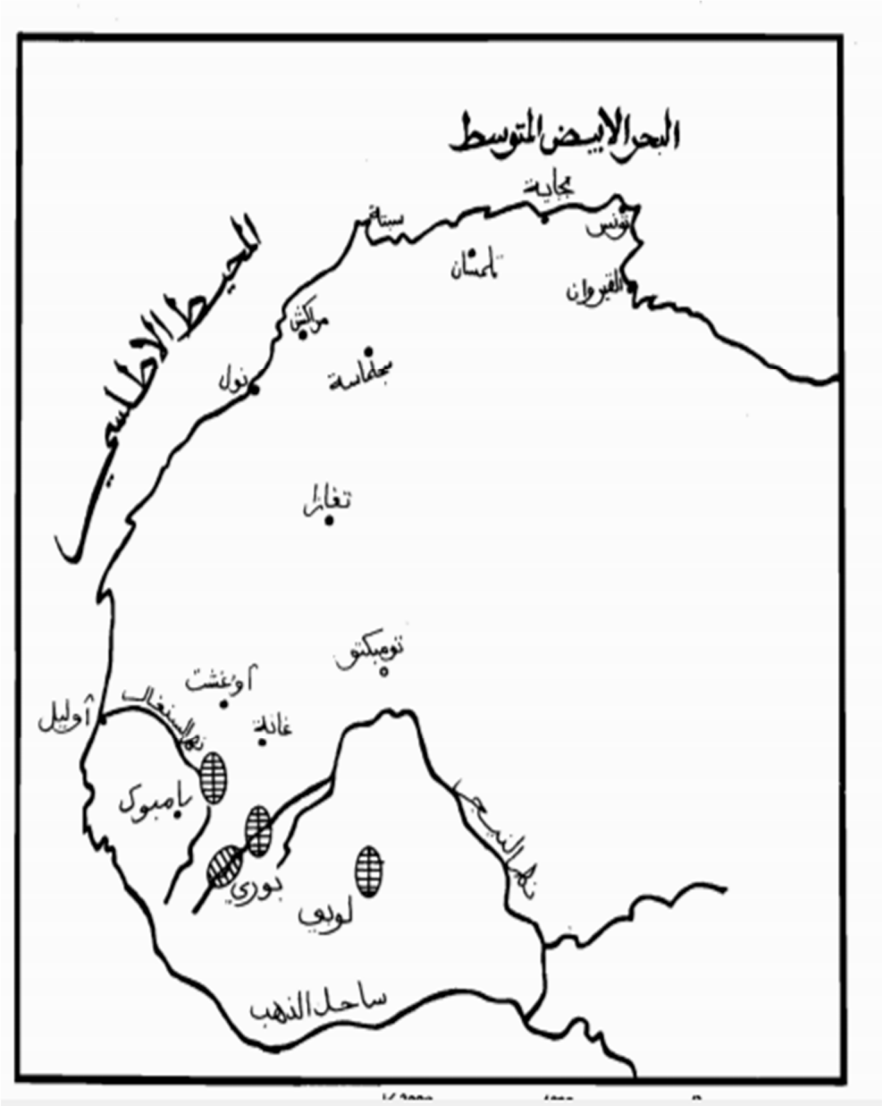

ماجدة كريمي، مرجع سابق، ص١٩٠.

ثانيًا: الأشكال

شكل (١)

مخطط عام للمدينة وما أجري فيها من حفائر

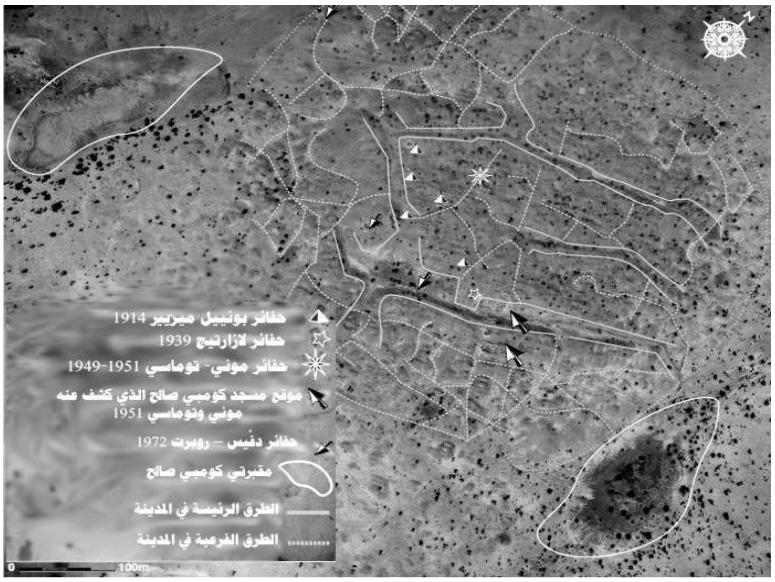

Source: Van Doosselaere, Barbara, Op, Cit., p. 68.

شكل (٢) مقبرة العمود في شمال كومبي صالح

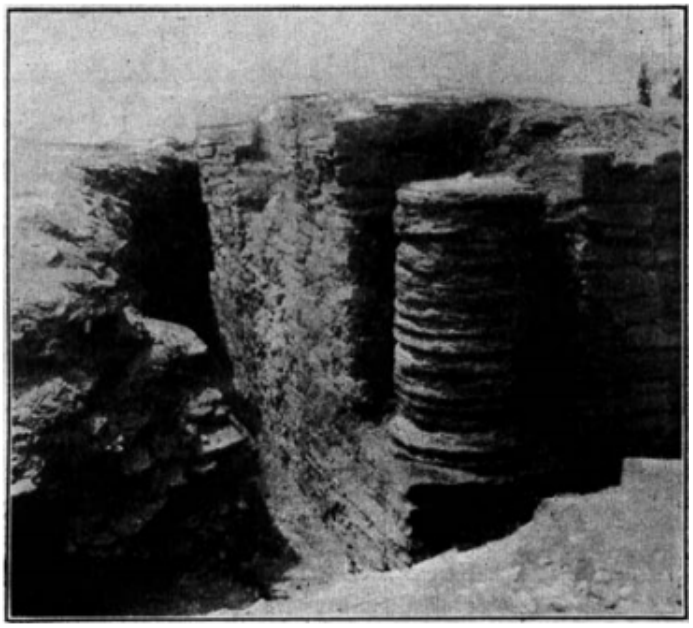

Sourcs: Bonnel Mézières Albert, Op, Cit., p. 249; Chloé Capel and others, Op, Cit., p. 68.

شكل (٣)

بعض الأدوات المصنوعة من الحديد عثر عليها في كومبي صالح

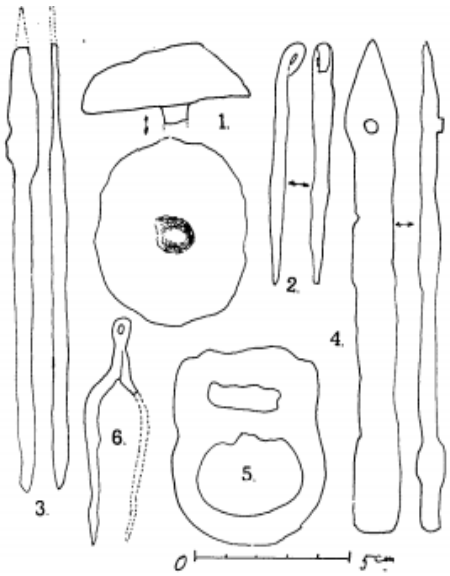

Source: Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 456; Lawrence, Harold G. "The Vanished Cities of West Africa." *Negro History Bulletin,* 27.5,1964, p. 118.

شكل(٤)

أسلاك النحاس التي استخدمت كعملة عثر عليها بالقرب من كومبي صالح

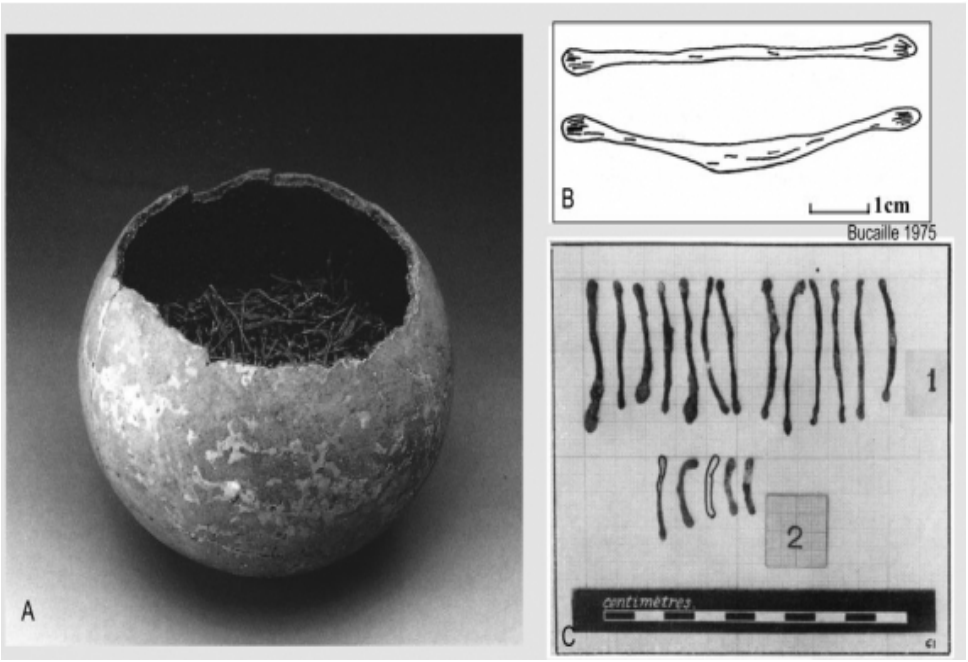

Source: Garenne-Marot Laurence, Op, Cit., P. 50; Garenne-Marot, Laurence, and Benoît Mille, "Les fils à double tête en alliage à base de cuivre de Koumbi Saleh, p.85.

شكل (٥) مصنوعات الحلي من الخزف والزجاج عثر عليها في كومبي صالح

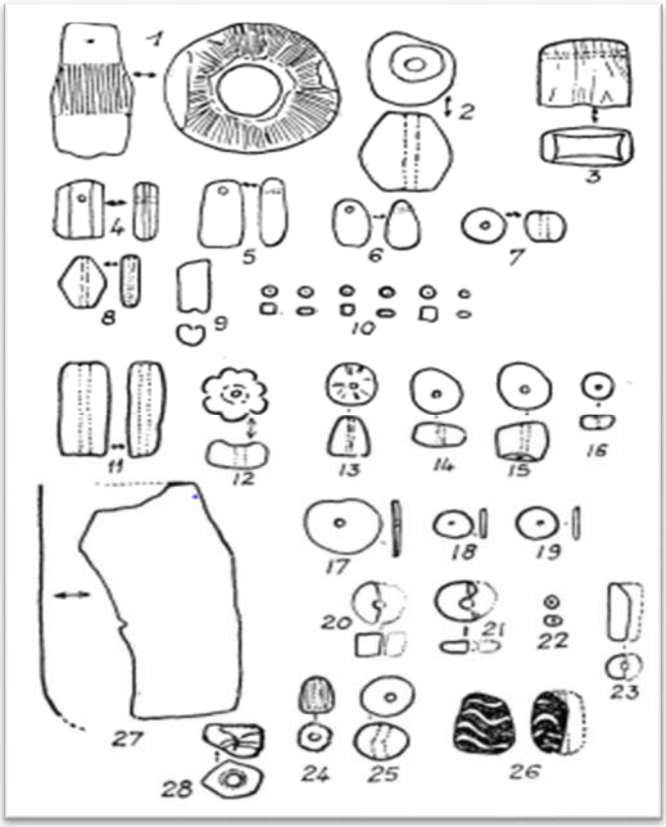

Source: Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 458.

شكل (٦) بقايا المسجد الكبير في مدينة كومبي صالح

Source: **Denise** Robert and others, Op, Cit., p.55

شكل (٧)

مراحل ومستويات تصنيع الفخار في كومبي صالح

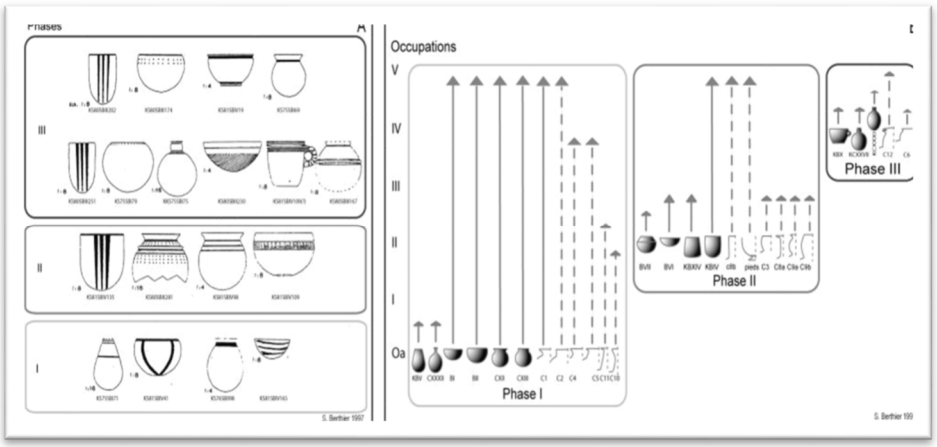

Source: Van Doosselaere, Barbara, Op, Cit., p. 74.

الهوامش

(١) كدراسة الأستاذ الدكتور/ حسين مراد بعنوان "دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس الهجري/القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد"، ودراستي دكتور/ بطل شعبان محمد الأولى بعنوان" جوانب من تاريخ مملكة تادمكة في ضوء الحفائر الآثارية وشواهد القبور من منتصف القرن الثالث حتى نهاية القرن السادس للهجرة/ التاسع- الثاني عشر للميلاد"، والثانية بعنوان " الصلات التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الآثارية دراسة للفترة من القرن ٤-٦هـ/١٠-١٢م ".

(2) Anquandah, James, "The people of Ghana: Their origins and cultures." *Transactions of the Historical Society of Ghana,* Vol. 15, (2013, Pp. 1-2.

(3) Ibid, p. 2.

(٤) يُقصد **بالسودان الغربي** الأراضي الواقعة في غرب أفريقيا فيما يلي الصحراء الكبرى جهة الجنوب، وتمتد تلك الأراضي حتى الأطراف الشمالية للمنطقة الاستوائية، ومن الشرق تنتهي إلى حدود بلاد الكانم والبَرنو حول بحيرة تشاد، وغربًا تنتهي إلى المحيط الأطلنطي. واستخدم لفظ السودان للمراة الأولي من قبل المستشرق هوادس (Houdas) في معرض دراسته عن الخطوط المغربية، ففرق بين الخط المغربي، وخط آخر أطلق عليه السوداني من خلال طريقة كتابة الخروف والزخارف المستخدمة. انظر: محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٢، ص٢٣؛ انظر أيضًا:

Nobili, Mauro, "Arabic scripts in West African manuscripts: a tentative classification from the de Gironcourt collection." *Islamic Africa,* Vol. 2, No.1, 2011, p. 108.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص٢٤.

(٦) أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني: إمبراطورية مالي ١٢٣٠-١٤٣٠، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٩، ص١٠٩-١١٠.

(٧) أودغست مدينة كبيرة آهلة بالسكان وعامرة بالبساتين والنخيل، وموقعها متوسط بين بلاد السودان جنوبًا وبلاد المغرب شمالًا، فأضحت أحد أهم محطات التجارة العابرة للصحراء، فرض ملوكها سيادتهم على مساحة واسعة من الأرض، وكانت لهم علاقات ودية بملوك غانة. للمزيد انظر: البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٩٢، ص٨٤٨-٨٥١.

(٨) حسين مراد، دولة أوغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة/القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ٢٠٠٩، مج٤٦، ص١٧٧، ١١٩.

(9) Devisse, Jean. "L'arrière-plan africain des relations internationales au Xe siècle." *Actes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public* 9.1, 1978, p. 150.

, The End of a François Saliège-) Chloé Capel, Antoine Zazzo, Jean Polet, Jean10(Hundred-Year-Old Archaeological Riddle: First Dating of the Columns Tomb of Kumbi Saleh (Mauritania). Radiocarbon, University of Arizona, 57 (1) 2015, p. 66.

(١١) حسين مراد، الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال ق ٢-٨/٦هـ-١٢م، في المؤتمر الدولي الإسلام في أفريقيا، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، الكتاب الحادي عشر، د.ت، ص، ٣٨٣.

(12) Lange, Dierk.: "La chute de la dynastie des Sissé: considérations sur la dislocation de l'empire du Ghana à partir de l'histoire de Gao." *History in Africa,* Vol. 23, 1996, Pp. 170-171,178.

(١٣) جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، ، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٨٤، ص٥١.

(١٤) انظر خريطة (١) التي توضح حدود مملكة غانة في أوج ازدهارها.

(15) Mauny, Raymond A, "The question of Ghana" *Africa,* Vol. 24, No.3, 1954, p. 201.

(١٦) تعددت الآراء حول ظهور مملكة غانة ككيان سياسي منظم في غربي أفريقيا، يبرز من بين تلك الأراء رأيان. **الأول** منهما يشير إلى أن ظهور المملكة على هذا النحو من التنظيم كان خلال القرن الأول للميلاد. وأما **الرأي الثاني**، فيشير إلى أن غانة ظهرت وتبوأت مان الصدارة في غربي أفريقيا خلال القرن الثالث الميلادي. راجع: شعباني، نور الدين، دور عائلة كيتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين/الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ٢، الجزائر، ٢٠١٣، ص٦٨-٦٩.

(١٧) صورة الأرض من جغرافية بطليموس في المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار، تحقيق: هانس فون مزيك، ط١، دار بيبليون، لبنان، ٢٠٠٩، ص١٠١، ١١١.

(18) Chloé Capel, Antoine Zazzo, Jean Polet, Jean-François Saliège, Op, Cit., p. 66.

(١٩) بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي بولقيمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٨٨، ص١٣٢. انظر خريطة (٢) التي توضح الموقع الحالي لأطلال مدينة كومبي صالح.

(20) Jean Polet, Pourquoi un « cahier Koumbi Saleh, Afrique. Archeologie et Arts 3 (2004-2005), pp. 19-22. https://journals.openedition.org/aaa/2364

(21) Mézières, B. A., "Recherches sur l'emplacement de Ghana et sur le site de Tekrour." *Mémoires présentés par divers savants étrangers à l'Académie* 13.1 (1923), 229-230.

(٢٢) إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٠، ص٣٤-٣٥.

(23) **Denise** Robert-Chaleix**, Serge** Robert **et Bernard** Saison, "Bilan en 1977 des recherches archeologiques a Tegdaoust et Koumbi Saleh (Mauritanie)," Afrique. Archeologie et Arts 3 (2004-2005), pp. 23-48.
https://journals.openedition.org/aaa/1982#tocto2n4

(24) Saison, Bernard, Claude Richir, and Jean Polet. "Le «Tombeau à Colonnes» de Koumbi Saleh (Hodh oriental, Mauritanie)." *Afrique: Archéologie & Arts* 3 (2005), Pp. 49-62. https://journals.openedition.org/aaa/2038#tocfrom4n2

(25) Ibid, p. 58.

(26) van Doosselaere, Barbara, "Technologie céramique et Histoire à Koumbi Saleh: premiers résultats, premiers enjeux." *Afrique: Archéologie & Arts* 3 (2005): 63-80. https://journals.openedition.org/aaa/2068

(27) Jean Polet, Op, Cit., pp. 19-22 https://journals.openedition.org/aaa/2364

(28) Chloé Capel, Antoine Zazzo, Jean Polet, Jean-François Saliège. Op, Cit., p.67.

(٢٩) والراجح أن هذا الأمر لم يكن مرتبطًا بعاصمة غانة وحدها، وإنما كان واقع كثير من مدن جنوب الصحراء، فالمدينة تنقسم عادة إلى قسمين، الأول قسم ملكي، والثاني قسم تجاري، يسكنه غالبًا تجار مسلمون. انظر:

Takezawa, Shoichiro, and Mamadou Cisse, "Discovery of the earliest royal palace in Gao and its implications for the history of West Africa." *Cahiers d'études africaines* 52.208 (2012, Pp 813-814.

(٣٠) الراجح أن هذا هو وضع أكثر المدن القائمة على ضفاف الأنهار في بلاد السودان؛ إذ تصف المصادر أكثر من مدينة أنها مدينتان على ضفتي النهر، ومن ذلك صَنْغانة وسِلىَ وقَلْنُبوا وغيرها فالنيل يقسم معظم مدن بلاد السودان. راجع: مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشره: سعد زغلول عبد الحميد، ١، دار

النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص ٢١٧-٢١٨.
(٣١) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧١.
(٣٢) تقويم البلدان، نشره ماك كوكين ديسلان، ط١، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠، ص١٥٧.
(٣٣) الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م، ص٤٢٥-٤٢٦.

(34) Mézières, B. A.: Op, Cit., 236.
(35) Chloé Capel, et al, Op, Cit., p. 67, 72; See also Hamès Constant. Cuoq (Joseph) Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest, des origines à la fin du XVIe siècle, Archives de sciences sociales des religions, n°67/2, 1989. p. 255.
انظر أيضًا: أحمد الشكري، مملكة غانة وعلاقاتها بالحركة المرابطية: هل حقًا قام المرابطون بغزو غانة، معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، ط١، ١٩٩٧، ص٢٥.
(٣٦) حسين مراد، معالم تاريخ العروبة والإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، ص٤-٥، ٧-٩.
(٣٧) المسالك والممالك، جـ٢، ص١٤٦٧؛ انظر أيضًا: القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٥، ط١، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، ص٢٨٤، ٢٩٣.
(٣٨)أحمد الشكري، مرجع سابق، ص٩٨، ١١٤.
(39) Deschamps Hubert. Mauny (Raymond) :Les siècles obscurs de l'Afrique noire. In: Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 59, n°214, 1er trimestre 1972. p.149;
(٤٠) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأعظم، ضبط متنه خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، جـ٤، ص١٤٥.
(٤١) المنجد، صلاح الدين، مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص٣٢.
(٤٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص٢٣.
(٤٣) الحسن بن الشيخ سليمان، تاريخ بنى صالح: شرفاء كومبى صالح ملوك غانة ومالى وبلاد السودان، دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الغمام مالك، موريتانيا، ١٣٤٠هـ/٢٠٠٩، جـ١، ص١٩١.
(٤٤) بوفيل، مرجع سابق، ص١٠٤، ١١٠.
(٤٥) انحاز عدد من المستشرقين إلى هذا الرأي، فأشار سبتز(Spitz) إلى أن سكان غانة وحكومتها الأولى قامت على أيدي جماعة من البيض من شمال أفريقيا، ورجحت تلك الدراسات أنهم من اليهود السوريين الذين كانو يقطنون بإقليم برقة، كما ربط ديلافوس(Delafosse) بين ما وقع لليهود في المشرق في فترات قديمة، وجعله دافعًا لهجرات يهودية نحو الغرب، وانتشار مجموعات من اليهود في عدة مناطق في غرب أفريقيا وممارستهم لأعمال السحر. Spitz, Georges. L'Ouest africain français. Vol. 2. Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales, 1947, p. 61; Delafosse, Maurice, Op, Cit., Pp. 5-6.
ولكن تظل هذه الأراء إذا ما أحسنا الظن اجتهادات من قبل المستشرقين لا ترقى إلى الحقائق الثابتة؛ إذ لم يقدموا عليها أدلة دامغة، كما أنها تصطدم بكتابات مؤرخي السودان الغربي أمثال محمود كعت (المتوفي١٠٠٢ه/١٥٩٣م) والسعيدي، فالأول رجح أنهم من البربر الذين كانوا على اتصال بالمنطقة منذ القدم. وأما السعيدي فأشار إلى أن سكان غانة الأوائل كانوا فعلًا من البيض، لكنه لم يشر إلى أي أصل ينتمون. محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تحقيق: آدم بمبا، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١٤، ص١٣٦؛ السعيدي، تاريخ السودان، طبعه هوادس، المدرسة الباريسية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس، ط١، ١٩٨١، ص٩.
وأشار براندل لودفيج(Brandl, Ludwig) صراحة إلى أنهم من أصل بربري، وأشار أيضًا إلى أن من أسس مدينة كومبي صالح هم من البربر. وأكد تاديوش ليفيتسكي(Tadeusz Lewicki) على العلاقات الوثيقة بين قبائل صنهاجة الصحراء ومناطق السودان الغربي منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وهذا يعني

أن لتلك العلاقة جذور ضاربة ترجع إلى ما قبل ذلك التاريخ بكثير.
Brandl, Ludwig. "Early Christianity in Africa: North Africa, The Sahara, The Sudan, Central and East Africa: A Contribution to Ethnohistory." *Présence Africaine,* Vol. 96, 1975, Pp. 472, 474; Lewicki, Tadeusz. "Les origines et l'islamisation de la ville de Tādmakka d'après les sources arabes." *Publications de la Société française d'histoire des outre-mers* 5.1 1981, Pp. ٤٤٠-٤٤٣.
ويشير ريموند موني(Raymond Mauny) إلى أن ما ذكره المستشرقون ومؤرخو السودان الغربي يصطدم بما ورد في المصادر العربية التي تحدثت عن غانة، والتي أشار بعضها إلى أن سكان غانة كانوا من الزنوج، وكذلك حكامها.
ولكننا نجد أن ما أكد عليه البكري، وهو أفضل من حدثنا عن غانة في فترة ازدهارها يدفع في اتجاه الاتصال الدائم بين البربر في الصحراء وبين مناطق السودان الغربي وفي مقدمتها غانة. البكري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٣٧. انظر أيضًا: Mauny, Raymond A.: Op, Cit., p. 204.
والراجح هنا أن غانة مرت بمرحلتين، الأولى: ما قبل القرن ٩/٥٣م، وكانت حكومة غانة فيها من الزنوج، وأما الفترة الثانية فكانت فيما بعد هذا التاريخ حيث آل الحكم في المملكة إلى سلالة جديدة ليست من البيض، إذ كان للبربر دور أصيل فيها. وفي كلتا الحالتين لا يوجد أي دليل على ما طرحه سبتز وديلافوس من تأسيس اليهود لحكومة غانة الأولى. Mauny, Raymond A.: Op, Cit., p. 204.
(٤٦) قام الرومان بتدمير أورشليم أكثر من مرة منذ ما قبل الميلاد، فدمروا المدينة سنة ٦٣ ق. م، وسنة ٧٠ م، سنة ١١٥ أو ١٣٥م، ونال اليهود الكثير من الاضطهاد، واستغل الرومان في كل مرة الصراع والتنافس بين اليهود أنفسهم مما دفع اليهود للهجرة إلى جهات شتى من العالم. للمزيد راجع: مادهو بانيكار، الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب أفريقية، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨، ص٧٢-٧٣.

(47) Es'andah, Bassey W., "An archaeological view of the urbanization process in the earliest West African States." *Journal of the Historical Society of Nigeria* 8.3 (1976), p. 6.
(48) Conrad, David C., Op, Cit., p. 72.

(٤٩) باسيل دافيدسون، مرجع سابق، ص٤٤.

(50) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, "Campagne de fouilles de 1950 à Koumbi Saleh." *Bulletin de l'Institut Français de l'Afrique Noire (B)* 18 1956, p. 337.
(51) Ibid, p. 339.
(52) Van Doosselaere, Barbara, Op, Cit., 63-80.

(٥٣) الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٣-٢٤.

(54) Conrad, David C. *Empires of Medieval West Africa: Ghana, Mali, and Songhay*, Library of Congress, USA, 2005, p. 70.
(55) Mézières, B. A., Op, Cit., pp. 230-23٢.
(56) Conrad, David C., Op, Cit., pp. 70-71.
(57) Conrad, David C.: p. 71, 74.
(58) Mézières, B. A., Op, Cit., p. 230.

(٥٩) جوان جوزيف، مرجع سابق، ص٤٨.

(60) Chloé Capel, et al, Op, Cit., Pp. 66-67.
(61) Mézières, B. A., Op, Cit., pp. 246-247.
(62) Es'andah, Bassey W., Op, Cit., p. 4.

(٦٣) إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص٣٥.

(٦٤) تشير الأسطورة في هذا الصدد إلى أن سكان غانة الأوائل يعرفون باسم التورود(Tourud) أو التوروث(Towvooth)، وأن أصولهم مشرقية جاءوا من مكة أو بلاد الرافدين، وهو أمر مألوف بالنسبة لكثير من الشعوب الأفريقية، فالهوسا وفقًا لحوليات كانو ينسبون أنفسهم أيضًا إلى ذات المنطقة كما ورد في أسطورة بياجيدة أو أبي يزيد، والراجح أن هذا الارتباط بين أصول الشعبين جاء بعد هجرة جماعة من السوننكي(Soninke)، وهم الونقارة(Wankara) نحو بلاد الهوسا، وهناك أشاع المهاجرون أن أصولهم مشرقية، وتحديدًا من بلاد فارس، ولكن الراجح من بغداد مستقر الخلفاء العباسيين، وهذا أمر شاع في مختلف ممالك أفريقيا جنوب الصحراء. إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص١٨؛ عبد الباقي محمد أحمد كبير، دخول الإسلام بلاد الهوسا ودور العلماء في نشره، ع٢، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٩٩٦، ص١٤٩؛ انظر أيضًا:

Delafosse, Maurice, *Traditions historiques et légendaires du Soudan Occidental: traduit d'un manuscrit arabe inédit*. Comité de l'Afrique Française, 1913. p. 18; **See also**: Niane, Djibril Tamsir, "Histoire et tradition historique du Manding." *Présence africaine,* Vol. 89, No.1, 1974, p. 67.

(٦٥) باسيل دافيدسون، أفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت ، ص٤٤.

(66) Conrad, David C., Op, Cit., p. 72.

(٦٧) البكري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٥٧-٨٥٨، ٨٦٢، ٨٦٨، ٨٧٢-٨٧٤؛ الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٠-٢٣.

(68) Mézières, B. A., Op, Cit., p. 229.

(٦٩) والسودان هو الاسم الذي أطلقته المصادر الجغرافية الإسلامية على سكان بلاد السودان الغربي مما يلي المغرب جهة الجنوب، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، طبعة ليدن، مطبعة برايل، ١٨٨٩م، ص٨٩؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ط١، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢، ص٦٧، ويصفهم الاصطخري، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحسيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطابع دار العلم، القاهرة، ١٩٦٦، ص٧٤. كما عرفوا الزنوج تميزًا لهم عن العناصر الوافدة التي خالطتهم بعد ذلك وتركت تأثيرها عليهم. انظر: محمد فضل على باري وسعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١١٠.

(٧٠) الحاج موسى أحمد كامره، زهرة البساتين في تاريخ السوادين مدونة شعوب غرب أفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، تحقيق: ناصر الدين سعيدوني وعبد العزيز سعيدوني، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين، الكويت، ٢٠١٠، ص٣٨-٣٩.

(71) Hamès, Constant, "Quelques livres d'anthropologues sur les Soninké." *Revue française de sociologie,* Vol.19, No.2, 1978, Pp. 295-298.

(٧٢) عرف السوننك عند الجلف باسم سيركول(Sere-kule) أو سيراكول(Sera-kolé)، وتعني الرجال الحمر، وعرفوا عند البامبارا باسم ماركا(Marka) أو ماركنك(Mark-nke)، وعند الفولاني والهوسا باسم الونقارا(Wankore-Wangara)، وغير ذلك من الأسماء في مناطق أخري. للمزيد راجع: إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص١٩-٢٠.

(٧٣) إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص١٩.

(٧٤) الحاج موسى أحمد كامره، مرجع سابق، ص٣٩.

(٧٥) الحاج موسى أحمد كامره، مرجع سابق، ص١٧٠.

(٧٦) البكري، مصدر سابق، ص٨٥٨.

(٧٧) محمود كعت، مرجع سابق، ص١٣٦، ١٤٥.

(٧٨) السعيدي، مصدر سابق، ص٧٨.

(٧٩) للمزيد من التفاصيل حول الفلان راجع: الحاج موسى أحمد كامره، المصدر نفسه، ص٣٣-٣٦.

(80) Van Doosselaere, Barbara, Op, Cit., p. 7.

(٨١) إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص١٨.
(82) Mézières, B. A., Op, Cit., p. 259.
(83) Wilks, Ivor, Op, Cit., p. 149.
(٨٤) صورة الأرض، ص٩٧-٩٨.
(٨٥) جان دُفيس، التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا، مختصر التاريخ العام لأفريقيا، المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠، مج١، ٤٣٠.
(٨٦) تُعد لغة الماندي من أهم اللغات المنتشرة على نطاق واسع في غربي أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وقد أُجريت العديد من الدراسات حول تلك اللغة، فأكد اللغويون أن نحو ثلاثة عشر شعبًا تمتد بلادهم من ليبيريا جنوبًا حتي جنوب موريتانيا ومالي شمالًا يتحدثون لغة الماندي، وقد قسمهم اللغويون إلى فرعين كبيرين، الفرع الشمالي الغربي، والفرع الجنوبي الشرقي، ومن أهم الشعوب التي تتحدث لغة الماندي السوننكي والبمبارا والمالينكي والصوصو. انظر:
Prost, André, "Les Mandé-Sud en Afrique occidentale." *Publications de la Société française d'histoire des outre-mers,* Vol. 5. No. 1, 1981, Pp 353-354; Grégoire, Claire, and Bernard de Halleux. "Etude lexicostatistique de quarante-trois langues et dialectes mandé." *Africana Linguistica,* Vol. 11, No.1, 1994, Pp. 53-54.
(٨٧) ابن حوقل، مصدر سابق، ص١٠١.
(٨٨) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص١٧٩-١٨٢.
(٨٩) البكري، المصدر نفسه، ١٧٨-١٧٩.
(٩٠) أحمد الفيتورى، الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان دراسة أولية وبعض الملاحظات، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، ليبيا، ١٩٨١، ع٢، ص٢٤٩-٢٥٠.
(٩١) محمود كعت، مرجع سابق، ص١٧٣.
(٩٢) إبراهيم طرخان، نفس المرجع، ص٦١.
(٩٣) جوان جوزيف، مرجع سابق، ص٤٨. للمزيد انظر: Delafosse, Maurice, Op, Cit., Pp. 6-9.
(٩٤) ملوك السودان أهل سنغي، ص١١٨.
(٩٥) إبراهيم طرخان، نفس مرجع، ص٣٦-٣٧.
(٩٦) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧١، ٨٧٣.
(97) Conrad, David C.: Op, Cit., Pp. 79-80.
ورغم انتشار الإسلام في منطقة غرب أفريقيا إلا أن العقائد الأرواحية ظلت قائمة، وظل نفوذ ومكانة السحرة كبيرًا بين القبائل التي تعتقد في أرواح الأسلاف، فيشير باسيه(Basset) الذي زار غرب أفريقيا في نهاية القرن التاسع عشر لدراسة لغات القبائل إلى مدي خوف أصحاب تلك العقائد من السحرة. انظر:
Barbier de Meynard, Charles, "Rapport sur la mission de M. René Basset au Sénégal." *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres,* 32.3 (1888): p. 330.
(98) Conrad, David C., Op, Cit., p. 72, 80.
(99) Mézières, B. A.: Op, Cit., pp. 235-236.
(100) Ibid, pp. 244-245.
(101) Mézières, B. A, Pp. 245-247, 253.
(102) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny. Op, Cit., p. 340.
(103) Mauny, Raymond A.: Op, Cit., p. 202.
(104) Conrad, David C., Op, Cit., p. 80.
(105) Saison, Bernard, Claude Richir, and Jean Polet, Op, Cit., 54.
(106) Chloé Capel, et al, op, cit., p. 73.
(١٠٧) البكرى، مصدر سابق، ج٢، ص٨٧٧.

(١٠٨) نفسه، ج٢، ص٨٧١.
(١٠٩) إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، ص٣١-٣٣.
(١١٠) نفس المرجع، ص٤٣-٤٥.
(111) Farias Moraes, P. F., "Arabic medieval inscriptions from the Republic of Mali: Epigraphy, chronicles and Songhay-Tuareg history.", Published for British Academy, Oxford University Press, 2003, p. 142; See also Conrad, David C., Op, Cit., p. 72.
(١١٢) هو أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين بن وتانطق اللمتوني المرابطي، وصف بالصلاح والورع، وبدأ ظهوره وبزغ نجمه في أعقاب وفاة يحيي بن عمر الجدالي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م؛ حيث قدمه عبد الله بن ياسين على المرابطين وقلده قيادة جيش المرابطين. وقد لعب دورًا كبيرًا ومؤثرًا في جهاد المرابطين ولاسيما في الصحراء حتى توفي ٤٥٧هـ/١٠٦٥م وقيل توفي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م. انظر: ابن عذارى، البيان المُغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٣،ج٣، ص١٣-١٤؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ط١، ١٩٧٢، ص١٢٨، ١٣٣؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٠٩.
(113)Thomassey, Paul, and Raymond Mauny. Op, Cit., p. 345.
(114) Devisse, Jean. Op, Cit., P. 158; van Doosselaere, Barbara, OP, Cit.,63-80. https://journals.openedition.org/aaa/2068
(١١٥) البكري، مصدر سابق، ج٢،ص٨٧٤-٨٧٥.
(116) Lewicki, Tadeusz, L'État nord-africain de Tāhert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle, Cahiers d'Études Africaines,Vol. 2, Cahier 8 (1962), Pp. 517-518.
(117) Es'andah, Bassey W., Op, Cit., p. 7.
(118) Delafosse, Maurice, Op, Cit., p. 23.
(119) Mézières, B. A., Op, Cit., p. 234.
(١٢٠) البكري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٧١.
(١٢١) نفس المصدر، ج٢، ص٨٧٨.
(١٢٢) المواجل جمع مفردها ماجل، وهي أماكن واسعة أو برك أو مستنقعات تجتمع فيها ماء المطر. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٤، ج١١، ص٦١٦.
(123) Conrad, David C. *Empires of Medieval West Africa: Ghana, Mali, and Songhay*, Library of Congress, USA, 2005, p. 70.
(124) Mézières, B. A., Op, Cit., pp. 230-232.
(125) Es'andah, Bassey W., Op, Cit., p. 4, 7.
(126)Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 357.
(١٢٧) جوزيف، جوان، مرجع سابق، ص٥٧.
(١٢٨) اكتسب الحدادون موقعًا مرموقًا في المجتمعات الأفريقية جنوب الصحراء؛ وذلك بفضل الأدوات التي كانوا يقدمونها للمجتمع ليستفيد بها كافة الحرفيين، كأدوات الصيد والفلاحة، هذا فضلًا عن الأسلحة. وانتشرت في تلك المنطقة رواية شفوية أسطورية حول الحديد والحدادين والأدوات التي يستخدمونها. للمزيد انظر:
Dieterlen, Germaine, "Contribution à l'étude des forgerons en Afrique occidentale." *Annuaires de l'École pratique des hautes études,* Vol. 77, No.73,1964, p. 3, 14-19.
(١٢٩) قداح، نعيم، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ط١، سلسة الثقافة الشعبية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠، ص٣٦.

(١٣٠) إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص ٣٦، ٧٦.
(131) Mézières, B. A., Op, Cit., p. 242, 255..
(132) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Po, Cit., p. 357.
(133) Mézières, B. A., Op, Cit., p. 242, 255.
(134) Devisse, Jean, Op, Cit., p. 148.
(١٣٥) أكلوديت فاناكير، عرض عن نتائج التنقيب في حي صناعي عن مدينة أودغست، الآثار الإسلامية في الوطن العربي، المؤتمر التاسع للآثار في البلدان العربية اليمن ١٦-٢٢ فبراير ١٩٨٠، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس، ١٩٨٥، ص١١٨.
(136) Garenne-Marot Laurence, Le commerce médiéval du cuivre : la situation dans la Moyenne Vallée du Sénégal d'après les données archéologiques et historiques. In: Journal des africanistes, 1995, tome 65, fascicule 2. p. 49.
137() Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 356.
(١٣٨) الإدريسي، مصدر سابق، ص١٨.
(١٣٩) البكري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٧٧.
(140) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 356; Garenne-Marot Laurence, Op, Cit., Pp. 49-50.
(141) Garenne-Marot Laurence, Op, Cit., Pp. 49-50.
(١٤٢) الإدريسي، المصدر السابق، ص٢٠.
(١٤٣) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٥٠.
(١٤٤) حسين مراد، دولة أودغست، ص١١٩.
(١٤٥) أكلوديت فاناكير، مرجع سابق، ص١١١.
(١٤٦) البكري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٧٢-٨٧٣.
(١٤٧) المسالك والممالك، ج٢، ٨٧٣.
(148) Mézières, B. A., Op, Cit., p. 242, 255.
(١٤٩) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٧٢.
(150) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 357, 360.
(١٥١) الإدريسي، مصدر سابق، ص١٨.
(152) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 359.
(153) Ibid, p. 360.
(١٥٤) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٧٢، ٨٧٨.
(155) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 354.
(١٥٦) البكري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٧٤-٨٧٥.
(157) Conrad, David C., Op, Cit., p. 69.
(١٥٨) البكري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٧٣.
(١٥٩) الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٣-٢٤.
(160) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 356.
(161) Ibid, p. 255.
(162) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 344.
(163) Denise Robert and others, Op, Cit.,
https://journals.openedition.org/aaa/1982#tocto2n4
(164) Mézières, B. A., Op, Cit., p. 255.
(165)Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 344.
(166) Ibid, p. 351.

(167) Denise Robert and others, Op, Cit., p. 13, 20, 28, 38, 42.
(168) **Ibid, p. 5٥.** https://journals.openedition.org/aaa/1982#tocto2n4
(169) Mauny, Raymond, "Filipowiak, W. Etudes archéologiques sur la capitale du Mali." *Journal des Africanistes,* Vol. 50, No.2, 1980, 265-266.
(170) Van Doosselaere, Barbara, Op, Cit., 63-80.
https://journals.openedition.org/aaa/2068
(١٧١) مدينة كبيرة على نيل النيجر، قديمة البناء اكتسبت أهميتها من وقوعها في طريق التجارة العابرة للصحراء، واتصالها بكثير من مراكز التجارة شمال وجنوب الصحراء، واستمرت في النمو حتى غدت عاصمة لإمبراطورية صنغي الإسلامية، للمزيد راجع: البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٨٢-٨٨٣؛ المغرب، ص١٨٣؛ الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٩؛ ابن سعيد، الجغرافيا، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص٩٢-٩٣.
(172) Robert-Chaleix Denise. Lampes à huile importées découvertes à Tegdaoust, Journal des africanistes, tome 53, fascicule 1-2, 1983, P. 62.
(173) Es'andah, Bassey W., Op, Cit., p. 6.
(١٧٤) جوزيف، جوان، مرجع سابق، ص٥٧.
(175) Devisse, Jean, Op, Cit., p. 157.
(176) Es'andah, Bassey W., Op, Cit., p. 4.
(177) Conrad, David C., Op, Cit., p. 72.
(١٧٨) شعباني، نور الدين، مرجع سابق، ص٦٨-٦٩.
(١٧٩) جوزيف، جوان، المرجع السابق، ص٥٧.
(١٨٠) انظر الخريطة (٣) طرق التجارة بين غانة ومناطق شمال الصحراء.
(١٨١) باثيلي، عبدولاي و ميّاسو، كلود، العلاقات بين مختلف المناطق في أفريقيا، مختصر التاريخ العام لأفريقيا، مج١، ط١، المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة، القاهرة، ٢٠٢٠، ص٨١٨.
(١٨٢) المرجع نفسه، ص٨٢٩.
(١٨٣) أحويلات، فاطمة على إمحمد، تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء في الفترة من (٦٠٠-١١٦٤هـ/١٢٠٣-١٧٥٠م)، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١٦، ص١٤٢-١٤٣. راجع أيضًا: ويدنر، رونالد، تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، ط١، مكتبة الوعي العربي، ١٩٦٢، ص٣٨.
(184) Lewicki, Tadeusz. "Les origines et l'islamisation de la ville de Tādmakka, p. 440.
(١٨٥) القزويني، أثار ابلاد وأخبار العباد، ط١، دار صادر، بيروت، د. ت، ص٥٧.
(١٨٦) من المدن المشهورة في بلاد السودان الغربي، ويبدو مما ورد في المصادر أن هناك مدينتان تحملان نفس الاسم؛ حيث أُطلق على هذه المدينة سمغارة السفلى، وهذه طبيعة المدن التي تنشأ على ضفاف الأنهار في بلاد السودان، مثل غانة التي ورد في تعريفها مدينتان متقابلتان، وصنغانة كذلك. راجع: الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، نشره: مهرن، ط١، سان بطرسبرغ، ١٨٦٦، ص١١١، ٢٤٠-٢٤١.
(١٨٧) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص٩٢-٩٣.
(١٨٨) بوفيل، مرجع سابق، ص٣.
(١٨٩) الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٢-٢٦.
(١٩٠) نياني، جبريل ت، العلاقات بين مختلف المناطق: المبادلات بين المناطق، مج٢، ط١، مختصر التاريخ العام لأفريقيا، المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة، القاهرة، ٢٠٢٠، ص٦١٦، ٦٢٣- ٦٢٥.
(١٩١) ويدنر، رونالد، مرجع سابق، ص٤٧.
(١٩٢) ميديروس، فرانسوا دي، شعوب السودان: تنقل السكان، مج١، ط١، مختصر التاريخ العام لأفريقيا،

المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة، القاهرة، ٢٠٢٠، ص١٦١.
(١٩٣) ميديروس، فرانسوا دي، مرجع سابق، ص١٦١.
(١٩٤) **سجلماسة**: مدينة قديمة بُنيت عام ١٤٠ه/٧٥٧م شيدها مدرار بن عبد الله وكان رجلًا من أهل الحديث، وقيل أن من شيدها رجل يدعى مدرار أصله من الأندلس وكان حدادًا. وسجلماسة مدينة كبيرة على طرف الصحراء يسكنها قوم رحل من مسوفة، لها بساتين كبيرة ويكثر بها النخيل والعنب وكثير من الفواكه، وتقع على طريق التجارة العابرة للصحراء فالوارد والصادر بها كثير. انظر: البكري، مصدر سابق، ص٨٣٦-٨٣٧؛ الإدريسي، مصدر سابق، ٢٢٥-٢٢٦؛ ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج٣، ص١٩٢؛ الاستبصار، ص٢٠٠-٢٠١

(195) Devisse, Jean. Op, Cit., p. 149.
(١٩٦) بابوكونجي، آكن، الجغرافيا التاريخية: الجوانب الاقتصادية، مج١، ط١، مختصر التاريخ العام لأفريقيا، المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة، القاهرة، ٢٠٢٠، ص٣٤٦.
(١٩٧) أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني، ص١٣٤، ١٣٧-١٣٩. انظر أيضًا:
Mauny, Raymond A.: Op, Cit., p. 202.
(١٩٨) بوفيل، مرجع سابق، ص١٣٥؛ حسين مراد، الصلات بين المغرب والسودان الغربي، ص٣٩٠.
(١٩٩) مجهول، مصدر سابق، ص٢١٩.
(٢٠٠) معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، جـ٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ص١٤-١٥.

(201) Mézières, B. A., Op, Cit., p. 241.
(٢٠٢) إسحاق بن الحسين، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تحقيق: فهمي سعد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨، ص١٠٣.
(٢٠٣) الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة)، تحقيق: أحمد فؤاد باشا، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٩٨.
(٢٠٤) ابن الفقيه، كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦، ص١٣٨.
(٢٠٥) ابن سعيد، مصدر سابق، ص٩٢-٩٣.
(٢٠٦) شيخ الربوة، مصدر سابق، ص١١١؛ ابن سعيد، كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان قرنيط، ط١، مطبعة كرديمايس، تطوان، ١٩٥٨، ص٢٦-٢٧.
(٢٠٧) ابن حوقل، مصدر سابق ص٩٨.
(٢٠٨) يقول الإدريسي: "...، وتتصل مملكته وأرضه بأرض ونقارة، وهي بلاد التبر المذكورة الموصوفة به كثرة وطيبًا". الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٥؛ انظر أيضًا: البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: محمد على البيجاوي، جـ٢، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤، ص٩٨١.
(٢٠٩) الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٤، ص٢٠٨.
(٢١٠) القزويني، مصدر سابق، ص٤٢.
(٢١١) وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، جـ٢، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ص١٢٧.
(٢١٢) مجهول، مصدر سابق، ص٢١٥-٢١٦.
(٢١٣) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٤٠، ٨٥٠.
(٢١٤) مجهول، الأستبصار، ص٢٢٣.

(215) Garrard, Timothy F.: "Myth and metrology: the early trans-Saharan gold trade." *Journal of African History* (1982), p. 459. 443-461.
(٢١٦) لويس لومبارد، الإسلام في مجده الأول من القرن ٢-٨/٥٥-١١م، ترجمة إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، ط٣، ١٩٩٠، ص٩٣.

(217) Garrard, Timothy F.: Op, Cit., Pp. 455-456.

(218) Verlinden, Charles. Mauny (Raymond). Tableau géographique de l'Ouest africain au moyen âge d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie. In: Revue belge de philologie et d'histoire, tome 43, fasc. 1, 1965. p. 145.

(219) Messier, Ronald A.: The Almoravids: West African Gold and the Gold Currency of the Mediterranean Basin, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 17, No. 1 (Mar., 1974), p. 41.

(٢٢٠) لويس لومبارد، مرجع سابق، ص١٧٩. انظر الخريطة (٤) توضح طريق تصريف الذهب السوداني.

(٢٢١) أشار دُفيس إلى أن ذهب السودان الغربي الذي سيطرت عليه غانة اكتسب أهميته من أنه استخدم مباشرة في سك العملة دون الحاجة إلى تنقيته من الشوائب لقلتها فيه، غير أنه أشار إلى أن قلة الشوائب في ذهب غانة هي السبب في تسميته بالتبر دون غيره في المصادر العربية. راجع: دُفيس، جان، مرجع سابق، ص٤٢٤-٤٢٥. غير أن الصواب قد جانب دفُيس فيما ذهب إليه؛ لأن التبر في العربية يُطلق على الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض، وقيل هو مكسور الذهب. للمزيد راجع: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، (د.ت)، ج٤، ص٨٨.، وقال الزبيدي التبر هو كل جوهر. انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الترازي، مطبعة حكومة الكويت، ط١، ١٩٧٢، ج١٠، ص٢٧٦.

(222) Messierv, Ronald A.: Op, Cit, pp. ٣٣-41.

(٢٢٣) الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٤-٢٥. وللمزيد حول أثر ذهب السودان الغربي على صناعة النقود في المغرب وأوروبا راجع: كريمي، ماجدة، ذهب السودان الغربي من ق ١١/٥م إلى ق ١٤/٥٨م تاريخ استغلاله وكيفية الحصول عليه وآثاره على القطاع النقدي بالمغرب وأوروبا، ع٥، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، المغرب، ١٩٩٥، ص١٩٤-١٩٦.

(٢٢٤) البكري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٧٤.

(225) Garrard, Timothy F., Op, Cit., p. 460.

أنظر خريطة (٥) لأهم مواقع إنتاج الذهب التابعة لغانة.

(٢٢٦) بطل شعبان محمد، الصلات التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الآثارية دراسة للفترة من القرن ٤-٦هـ/١٠-١٢م، حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، ٢٠٢٠، مج٩، ج٢، ص٥٨٥.

(٢٢٧) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٦٣.

(٢٢٨) نزهة المشتاق، ص١٨.

(229) Rivallain, Josette, "Wright John, The trans-Saharan slave trade, History and society in the islamic world." *Outre-Mers. Revue d'histoire,* Vol. 94, No.356, 2007, p. 364.

(٢٣٠) بوفيل، مرجع سابق، ص١٥٢.

(٢٣١) أحمد بابير الأرواني ، جواهر الحسان في أخبار السودان، مخطوطة بمعهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي، النيجر، رقم ١٠٦، ورقة ٢١ب.

(٢٣٢) الحاج موسى أحمد كامره، مرجع سابق، ص٨٠.

(٢٣٣) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٤٩.

(٢٣٤) اعتمدت الدولة الفاطمية التي نشأت في بلاد المغرب في جيوشها على أعداد كبيرة من الجنود السود الذي جلبوا من بلاد السودان، والأمر نفسه تكرر في كثير من الجيوش الإسلامية، ثم أصبح سائدًا حتي في الممالك الإسلامية التي قامت جنوب الصحراء. انظر:

Hacker, Barton C.: "Firearms, Horses, and Slave Soldiers: The Military History of African Slavery." *Icon*, 2008, p.73, 75.

(235) Foster, Herbert J.: "Partners or Captives in Commerce? The R ole of Africans in the Slave Trade." *Journal of Black Studies,* Vol. 6, No.4, 1976, Pp. 423-425.

ورغم هذه الوضعية الجيدة التي تمتع بها الرقيق الأفريقي في بلدان العالم الإسلامي، فإن بعض المستشرقين يحاول المساواة بين تجارة الرقيق العابرة للصحراء وتجارة الرقيق الأطلسية، وذلك على صعيد الأعداد وأسلوب الاسترقاق والمعاملة، بل وضعوا مصطلح "العبودية الإسلامية"، وجعلوه أكثر قسوة من العبودية الجديدة، والتخلي عنه يحدث اضطرابات كبيرة في المجتمع. وهذا افتراء محض راجعه وعارضه مستشرقون آخرون. انظر:

McDougall, E.: "Discourse and distortion: critical reflections on studying the Saharan slave trade." *Outre-Mers. Revue d'histoire,* Vol. 89, No.336, 2002, Pp 196-20٣; See also: Foster, Herbert J.: Op, Cit., Pp. 421-434; Hacker, Barton C.: Op, Cit., Pp. 62-74.

(236) Devisse, Jean, Op, Cit., P. 146.

(٢٣٧) كانت ملل من أرض لملم من أهم المناطق التي أغار عليها ملوك غانة وحصلوا على الرقيق منها. الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٢.

(٢٣٨) المصدر نفسه، ص١٩، ٢٢، ٢٦.

(239) Nunn, Nathan, and Leonard Wantchekon, "The slave trade and the origins of mistrust in Africa, " *American Economic Review,* Vol. 101, No.7, 2011, p. 3221.

(٢٤٠) بوفيل، مرجع سابق، ص١٣٣.

(٢٤١) حسين مراد، دولة أودغست، ص١٤٥.

(242) Rivallain, Josette, Op, Cit., p. 364.

(243) Devisse, Jean, Op, Cit., p. 146.

(244) Foster, Herbert J.: Op, Cit., p. 424.

(٢٤٥) مجهول، مصدر سابق ص٢٠١.

(٢٤٦)البكري، مصدر سابق، ص٨٣٧-٨٣٨.

247() McDougall, E.: Op, Cit., Pp. 208-209.

(٢٤٨) بوفيل، مرجع سابق، ص١٣١.

(٢٤٩) ابن حوقل، مصدر سابق، ص٩٨.

(٢٥٠) مجهول، مصدر سابق، ص٢١٤.

(٢٥١) أوليل موضع على ساحل البحر جنوب بلاد المغرب الأقصى، كتبها صاحب الاستبصار وليلي، وذكر البكري أن أكثر سكانها من جدالة، وحدد ابن حوقل المسافة بينها وبين سجلماسة بمسيرة شهر، وقال ياقوت الحموي أن المسافة بينها وبين أودغست نحو الشهر ومنها يتجهز التجار بالملح لبلاد السودان. انظر: البكري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٦٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٩١، ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج١، ص٢٨٣، مجهول، مصدر سابق، ص٢١٤.

(٢٥٢) عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة الإسلامية في السودان الغربي، مجلة دراسات أفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، ١٩٨٩، ع٥، ص٦٩.

(٢٥٣) محمد بن عميرة، معدن ملح أوليل واستغلاله في العصر الوسيط، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، القاهرة، ٢٠٠٨، ع٩، ص١١٩-١٢٠.

(٢٥٤) واتفقت نتائج الحفائر الآثارية فيما يخص مبانى تغازا بأحجار الملح مع وصف ابن بطوطة للمدينة عندما زارها في القرن ٨هـ/١٤م. ابن بطوطة، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧، ج٤، ص٢٣٩-٢٤٠.

(255) Meunier, Dominique, "Le commerce du sel de Taoudeni." *Journal des africanistes,* Vol. 50, No.2, 1980, Pp. 133-135.

(٢٥٦) محمد بن عميرة، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٢٥٧) مجهول، مصدر سابق، ص٢٢٤-٢٢٥.

(258) Conrad, David C., Op, Cit., p. 72.

(٢٥٩) إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص٣٦.

(260) Mézières, B. A., Op, Cit., p. 255.

(261) Robertshaw, Peter, et al, "Chemical analysis of ancient African glass beads: a very preliminary report." *Journal of African Archaeology,* Vol. 1, No.1, 2003, p 140.

(262) Euba, O.: "Of blue beads and red: the role of Ife in the West African trade in Kori beads." *Journal of the Historical Society of Nigeria* 11.1/2 (1981), pp.115-116.

(263) Insoll, Timothy, and Thurstan Shaw, "Gao and Igbo-Ukwu: Beads, interregional trade, and beyond." *African Archaeological Review* 14.1 (1997), Pp. 9, 15

(264) Robertshaw, Peter, et al, Op, Cit., p. 140.

(٢٦٥) مدينة أيفي تقع في الجنوب النيجيري شمال العاصمة لاجوس بنحو ١٥٠ كيلو متر، وهي في موقع متوسط بين لاجوس وأبوجا، وحول صناعة الزجاج في أيفي راجع دراسة بابالولا أبيديمي: Babalola, Abidemi Babatunde, Ancient History of Technology in West Africa: The Indigenous Glass/Glass Bead Industry and the Society in Early Ile-Ife, Southwest Nigeria, Journal of Black Studies, Vol. 48, No. 5 (JULY 2017), pp. 501-527

(266) Euba, O., Op, Cit., p. 115.

(267) Insoll, Timothy, and Thurstan Shaw, Op, Cit., 15

(268) Garenne-Marot Laurence, Op, Cit., p. 43, 48.

(269) Ibid, p. 50.

(٢٧٠) **أغمات** مدينة كبيرة ببلاد المغرب الأقصى، وصفت بطيب التربة وكثرة النبات والأعشاب، وأهلها تجار يدخلون بلاد السودان بضروب من التجارات، فمن المعادن يحملون النحاس الأحمر والحديد، ومن الملابس ثياب الصوف والعمائم والمآزر، كما يحملون معهم كميات كبيرة من التوابل والعطور والأحجار والأصداف والزجاج. للمزيد انظر: الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢٧١) أكلوديت فاناكير، مرجع سابق، ص١١١، ١١٨.

(٢٧٢) حسين مراد، دولة أودغست، ص١٣٤.

(٢٧٣) أكلوديت فاناكير، مرجع سابق، ص١١١.

(274) Garenne-Marot Laurence, Op, Cit., p. 49.

(275) Ibid, Op, Cit., p. 51.

(276) Robert-Chaleix Denise, Op, Cit., p. 62.

(٢٧٧) بوفيل، مرجع سابق، ص١٣٤.

(278) Robert-Chaleix Denise, Op, Cit., p. 61.

(279) Devisse, Jean, Op, Cit., Pp. 150-151.

(٢٨٠) إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص٨٥.

(٢٨١) البكري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٧٤.

(282) Conrad, David C., Op, Cit., p. 75.

(٢٨٣) إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص٨٥؛ نعيم قداح، مرجع سابق، ص٤١-٤٢.

(284) Devisse, Jean, Op, Cit., P. 147, 150.

(285) Es'andah, Bassey W., Op, Cit., p. 4.

(286) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. ٣٦٢.

(287) Es'andah, Bassey W., Op, Cit., p. 4.

(288) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 351.

(٢٨٩) إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص٤٢.

(290) Es'andah, Bassey W., Op, Cit., p. 6.
(291) Thomassey, Paul, and Raymond Mauny, Op, Cit., p. 351.
(292) Devisse, Jean, Op, Cit., p. 147.
(293) Filipowiak Władysław, Le complexe du palais royal du Mali. In: 2000 ans d'histoire africaine. Le sol, la parole et l'écrit. Mélanges en hommage à Raymond Mauny. Tome I. Paris : Société française d'histoire d'outremer, 1981, pp. 83-84.
(٢٩٤) الأنيس المطرب ، مصدر سابق، ص١٣٥.
(٢٩٥) ابن خلدون، مصدر سابق، ج٣، ص١٦٤٦.
(٢٩٦) جبريل نياني ت، مالي والتوسع الثاني للماندانغ، مختصر التاريخ العام لأفريقيا، المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠، مج٢، ص١٣٠-١٣١.
(٢٩٧) نفس المرجع، ص١٣٣، هوبكنز أ. ج، التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ص١٥٨.
(٢٩٨) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٦٥.
(٢٩٩) البيان المغرب، ج٣ ص١٦.
(٣٠٠) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٤٦.
(٣٠١) أحمد الشكري، مرجع سابق، ص١٣٩.
(٣٠٢) الإسلام والمجتمع السوداني، ص١٣٩.
(٣٠٣) أجرى كل من ديفيد كونراد وهمفري فيشر دراسة معمقة حول حقيقة الغزو المرابطي لغانة، واعتمدا في دراستهما على المصادر الإسلامية التي تحدثت عن مملكة غانة، وكذلك على المصادر المحلية لتاريخ غانة ومنها التقاليد الشفهية، وانتهيا في دراستهما إلى أن هذا الغزو لم يحدث أبدًا. للمزيد من التفاصيل انظر:
Conrad, David, and Humphrey Fisher, "The conquest that never was: Ghana and the Almoravids, 1076. I. The external Arabic sources." *History in Africa* 9, 1982, Pp 21-59.
(٣٠٤) بوفيل، مرجع سابق، ص١٤٧؛ محمد الغربي، مرجع سابق، ص٣٩.
(٣٠٥) حسين مراد، دولة أودغست، ص١١٩-١٢٠.
(٣٠٦) حسين مراد، الصلات بين المغرب والسودان الغربي، ص٣٩٠.
(٣٠٧) بوفيل، مرجع سابق، ص١٤٧.
(٣٠٨) الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٣.
(309) Chloé Capel, et al, Op, Cit., p. 67, 72.
(310) Mauny, Raymond, "Filipowiak, W. Etudes archéologiques sur la capitale du Mali.", Op, Cit., Pp. 265-266; See also: Niane, Djibril Tamsir, Op, Cit., Pp. 72-73.
(٣١١) ابن خلدون، مصدر سابق، ص١٦٥٥.
(٣١٢) بوفيل، المرجع السابق، ص١٥٤. ولاته
(٣١٣) قداح، نعيم، مرجع سابق، ص٣١-٣٣، ٣٩.
(٣١٤) ابن خلدون، مصدر سابق، ص١٦٥٥.
(٣١٥) الإدريسي، مصدر سابق، ص١٨.
(٣١٦) بوفيل، المرجع السابق، ص١٥٤.